

التسامح في القرآن الكريم

الدكتور: حسن عبد الجليل عبد الرحيم علي العبادلة
جامعة البلقاء التطبيقية – الأردن

ملخص

يقوم هذا البحث على إظهار أصل أصيل من أركان الشريعة الإسلامية والذي من خلاله يمكن أن يتاح للبشرية جمعاء أن تنعم بالطمأنينة والأمن والسلام ألا وهو التسامح . ولما كانت هذه الكلمة (التسامح) والتي تحمل المعنى الوصفي النظري للرحمة غير مذكورة صراحة في القرآن الكريم . رأيت أن أظهر الجوانب التطبيقية العملية لهذه الكلمة في الشريعة الإسلامية من خلال بيان أقسامها العملية في القرآن الكريم ؛ حيث بيّنت معنى التسامح ، وذكرت الألفاظ التي تدل عليه في القرآن الكريم ، وأشارت إلى أنواع التسامح ، وذكرت صورا تطبيقية من التسامح في القرآن الكريم ، واختتمت البحث ببيان أهمية التسامح وعواقب تركه .

Summary (Tolerance in the Qur'an)

This research is based on showing out the original aspect of one of the pillars of Islamic law, through which all mankind could enjoy the tranquility, peace and security. This pillar is called "Tolerance". Since this word (Tolerance), which carries the descriptive theoretical meaning of mercy, is not explicitly mentioned in the Qur'an, I had to show the practical aspects of this word in Islamic law through explaining its practical subdivisions in the Holy Qur'an. I, also, indicated the meaning of tolerance, and stated the words that refer to it pointing to the types of tolerance by giving applied examples of it in the Holy Quran. Finally, I concluded the search by showing the importance of tolerance and the consequences of not applying it.

مقدمة :

الحمد لله الذي أشرقت السماوات والأرض بنور وجهه الكريم، والصلاة والسلام على نبيه السَّمْح الرحيم المبعوث رحمة للعالمين قال تعالى: (وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا رَحْمَةً لِّلْعَالَمِينَ)(الأنبياء 107)، (لَقَدْ جَاءَكُمْ رَسُولٌ مِّنْ أَنفُسِكُمْ عَزِيزٌ عَلَيْهِ مَا عَنِتُّمْ حَرِيصٌ عَلَيْكُمْ بِالْمُؤْمِنِينَ رَؤُوفٌ رَّحِيمٌ)(التوبة 128)، وعلى آله الطاهرين وصحبه المكرمين ومن تخلق بخلقهم واهتدى بهديهم إلى يوم الدين . وبعد

فما من دين ارتضاه الله تعالى لعباده إلا وقضى فيه سبحانه أخلاق العفو والتسامح، فيها ينتظم سلك الحياة وترتقي بها البشرية ويتميز بها الإنسان عن باقي المخلوقات، فيحقق الغاية من وجوده على هذه الأرض على أكمل وجه. ولأهمية هذا الخلق العظيم أجاب النبي صلى الله عليه وسلم -الذي أوتي جوامع الكلم- من سألته عن أفضل الأعمال وأهونها بأن ذلك يتمثل في السماحة والصبر؛ عن عبادة بن الصامت أنه قال: أتى رجل النبي صلى الله عليه وسلم فقال: "يا نبي الله أي العمل أفضل؟ قال: الإيمان بالله وتصديق به وجهاد في سبيله. قال: أريد أهون من ذلك يا رسول الله. قال: السماحة والصبر"⁽¹⁾. وإن ما نشهده اليوم من اختلاف وفرقة واثّباع للأهواء والأنفس والشهوات، وإقصاء للغير بأبشع الوسائل حتى بين أبناء الدين الواحد إنما يكمن سببه في البعد عن هذا الخلق العظيم، ومن هنا تظهر أهمية هذا الموضوع، وإمطة اللثام عن وجهه المشرق، ليسفر محياه بأبهى الصور، ولا تخفى منه خافية ليعلم من ابتعد عن أصل السماحة أهميته وضرورته لتقدم البشرية وعيشها بطمأنينة وسلام وأمان. ولأن القرآن الكريم هو أساس هذا الدين فإنني أحببت أن أظهر بعض أوجه سماحة الإسلام في هذا الكتاب الكريم، والتي لا يمكن لأحد أن يستقصيها في بحث أو كتاب، فالحنفية السمحة شعار هذا الدين. وفي سبيل تحقيق ذلك قسمت البحث إلى مقدمة وثلاثة فصول وخاتمة؛ قسمت الفصل الأول إلى ثلاثة مباحث، أتحدث في الأول منها عن معنى التسامح في اللغة والاصطلاح، وأشير في المبحث الثاني إلى عدد من الكلمات القرآنية الكريمة التي تمثل أخلاق التسامح، ومنها التوبة والمغفرة والعفو والصفح وكظم الغيظ، حيث أبين معانيها وأذكر شواهدا في القرآن الكريم، وأتحدث في المبحث الثالث عن أنواع التسامح المادي والعرفي والفكري والديني وأذكر شواهد من آيات القرآن الكريم على كل وجه منها. وفي الفصل الثاني أظهر صورا من التسامح في القرآن الكريم والتي تتمثل في القصص القرآني، في قصة آدم، وابنيه، وإبراهيم، ويوسف، ومحمد صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين. وأشير في الفصل الثالث إلى أهمية التسامح وعواقب تركه على ما هو ظاهر في فهرس الموضوعات.

فهرس الموضوعات

المقدمة

فهرس الموضوعات

الفصل الأول: بيان معنى التسامح

المبحث الأول: معنى التسامح في اللغة والاصطلاح

المبحث الثاني: الألفاظ التي وردت في القرآن الكريم دالة على معنى التسامح

1- الشيباني. مسند الإمام أحمد بن حنبل حديث رقم 22769 ج 5 ص 318

أولاً: التوبة

رابعاً: الصفح

ثانياً: المغفرة

خامساً: كظم الغيظ

ثالثاً: العفو

المبحث الثالث: أنواع التسامح

1- التسامح المادي

3- التسامح الفكري

2- التسامح العرقي

4- التسامح الديني

الفصل الثاني: صور من التسامح في القرآن الكريم

1- آدم عليه الصلاة والسلام

4- يوسف عليه الصلاة والسلام

2- ابني آدم

5- محمد صلى الله عليه وسلم

3- إبراهيم عليه الصلاة والسلام

الفصل الثالث: التسامح أهميته وعواقب تركه

الخاتمة

قائمة المصادر والمراجع

الفصل الأول : بيان معنى التسامح

المبحث الأول : معنى التسامح في اللغة والاصطلاح

لغة : يرجع أصل اشتقاق كلمة التسامح إلى الجذر (سمح) والذي يستخدم ومشتقاته في اللغة للدلالة على عدة معاني، فيقال: رَجُلٌ سَمَحٌ، وَرَجَالٌ سَمَحَاءُ. وَرَجُلٌ مِسْمَاحٌ، وَرَجَالٌ مَسَامِيحُ. وَقَدْ سَمَحَ سَمَاحَةً وَسُمُوْحاً وَسَمَاحاً: إِذَا جَادَ بِمَا لَدَيْهِ. وَنِسْوَةٌ سِمَاحٌ. وَسَمَحَ: بِمَعْنَى سَامَحَ، تَسْمِيحاً. وَيَقُولُونَ: إِذَا لَمْ تَجِدْ عِزّاً فَسَمَحْ: أَيِ لِنْ وَهِنْ. وَسَامَحَنِي فَسَمَحْتُهُ. وَالتَّسْمِيحُ: السَّرْعَةُ. وَالْمُسَامَحَةُ: الْمُسَاهَلَةُ فِي الطَّعَانِ وَالْعَدُوِّ وَغَيْرِهِمَا. وَتَسَامَحُوا تَسَاهَلُوا وَفِي الْحَدِيثِ الْمَشْهُورِ السَّمَاحُ رِبَاحٌ⁽¹⁾ أَيِ الْمُسَاهَلَةُ فِي الْأَشْيَاءِ تُرْبِيحُ صَاحِبُهَا⁽²⁾ وَفِي الْحَدِيثِ أَنَّ ابْنَ عَبَّاسٍ سُئِلَ عَنْ رَجُلٍ شَرِبَ لَبْناً مُحَضّاً أَيْتَوْضأاً؟ فَقَالَ: "اسْمَحْ يُسْمَحُ لَكَ

1- قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: ثم السماح رباح والعسر شؤم. ينظر القضاعي. مسند الشهاب حديث رقم 23 ج1 ص48، و الهمداني. الفردوس بمأثور الخطاب، حديث رقم 3571 ج2 ص347، والمناوي. فيض القدير ج4 ص145، العجلوني. كشف الخفاء حديث 1489 ج1 ص553. والحديث الذي رواه البخاري في السماعة أكثر وضوحاً، حيث روى بسنده عن جابر بن عبد الله رضي الله عنهما أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال رحم الله رجلاً سمحاً إذا باع وإذا اشترى وإذا اقتضى. صحيح البخاري، باب السهولة والسماعة في الشراء والبيع حديث رقم 1970 ج2 ص730

2- ابن منظور. لسان العرب ج2 ص489، الرازي. مختار الصحاح ج1 ص131، وينظر اليحصبي. مشارق الأنوار ج2 ص220، وينظر الجزري. النهاية في غريب الأثر ج5 ص294

"(1)؛ معناه: سَهِّلْ يُسَهِّلْ لك وعليك، وأنشد: فَلَمَّا تَنَازَعْنَا الْحَدِيثَ وَأَسَمَحْتَ... (2) قال: أَسَمَحْتُ: أَسَهَلْتُ وانقادت. وَرُمِحَ مُسَمَّحٌ: نُقِفَ حَتَّى لَانَ. وَعُودٌ سَمَحَ بَيْنَ السُّمُوحَةِ وَالسَّمَاحَةِ: لَا أُبْنَ فِيهِ. وَالسَّمَاحُ: بُيُوتٌ مِنْ أَدَمٍ (3). وَسَمَحَ لِي بِذَلِكَ يَسْمَحُ سَمَاحَةً وَهِيَ الْمَوَافَقَةُ عَلَى مَا طَلَبَ (4)، وَسَمَحَ لِي فَلَانٌ أَيَّ أُعْطَانِي (5). وَأَسَمَحْتَ قَرِينَتَهُ إِذَا ذَلَّ وَاسْتَقَامَ، وَقَوْلُهُمْ: الْحَدِيثُ السَّمَحَةُ: لَيْسَ فِيهَا ضَيْقٌ وَلَا شِدَّةٌ. تَقُولُ الْعَرَبُ: عَلَيْكَ بِالْحَقِّ فَإِنَّ فِيهِ لِمَسْمَحًا أَيَّ مُنْسَعًا، كَمَا قَالُوا: إِنَّ فِيهِ لَمَنْدُوحَةً، وَقَالَ ابْنُ مَقْبِلٍ:

وَإِنِّي لِأَسْتَحِي فِي الْحَقِّ مَسْمَحٌ إِذَا جَاءَ بَاغِي الْعُرْفِ أَنْ أُنْعَذِرَ (6)

و " سَمَحَ كَكَرَّمَ سَمَاحًا وَسَمَاحَةً وَسُمُوحًا وَسُمُوحَةً " بِالضَّمِّ فِيهِمَا " وَسَمَحًا " بَفَتْحٍ فَسَكُونٌ " وَسَمَاحًا كَكِتَابٍ " إِذَا " جَادَ " بِمَا لَدَيْهِ " وَكَرَّمَ " (7) وَفِي الْحَدِيثِ يَقُولُ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ: أَسْمَحُوا لِعَبْدِي كإِسْمَاحِهِ إِلَى عَبَادِي (8) الإِسْمَاحُ لُغَةٌ فِي السَّمَاحِ يَقَالُ سَمَحَ وَأَسَمَحَ إِذَا جَادَ وَأَعْطَى عَنْ كَرَمٍ وَسَخَاءٍ... أَنْشَدَ ثَعْلَبُ:

لَوْ كُنْتُ تُعْطِي حِينَ تُسْأَلُ سَامَحَتُ لَكَ النَّفْسُ وَاحْلُولَاكَ كُلَّ خَلِيلٍ (9). وَقِيلَ سَمَحَ هَرَبَ (10).

يتضح مما سبق أن كلمة التسامح ومشتقاتها تستخدم في اللغة للدلالة على ؛ الجود والكرم والعطاء والسعة واللين والانقياد والتساهل والموافقة على الطلب والشيء القويم الذي لا اعوجاج فيه، والأمر الذي يخلو من الضيق والشدّة... وهذه المعاني في حقيقة أمرها أخلاق إنسانية رفيعة، وأثار هذه المعاني اللغوية ظاهرة في المعنى الاصطلاحي للتسامح بوضوح ، وهذا ما نراه فيما يأتي؛

التسامح اصطلاحاً :

إذا كانت المعاني التي تؤدّيها كلمة التسامح من حيث اللغة تمثل صوراً للأخلاق الإنسانية الرفيعة، فإننا نجد أن عبارات الباحثين تنوعت في بيانهم لمصطلح التسامح، توصيفاً لهذه الأخلاق؛ ففي الموسوعة الحرّة نجد التعريف الآتي :

التسامح أو العفو: هي كلمة دارجة تستخدم للإشارة إلى الممارسات الجماعية كانت أم الفردية تقضي بنبذ التطرف أو ملاحقة كل من يعتقد أو يتصرف بطريقة مخالفة قد لا يوافق عليها المرء. تعد ممارسات النظم الشمولية نقيضاً للتسامح وتسمى تعصباً. مصطلح التسامح أكثر شيوعاً من مصطلحات

1- هذا نص حديث عن النبي صلى الله عليه وسلم؛ عن ابن عباس قال: قال رسول الله: ثم اسمح يسمح لك . ينظر ابن حنبل. مسند أحمد، حديث رقم

2233 ج1 ص248، و مجمع الزوائد ج10 ص193، المعجم الأوسط، حديث رقم 5112 ج5 ص211

2- البيت لامرئ القيس فَلَمَّا تَنَازَعْنَا الْحَدِيثَ وَأَسَمَحْتَ هَصَرْتُ بِغُصْنٍ ذِي شَمَارِيخٍ مَيَّالٍ. الموسوعة الشعرية cd

3- الصاحب بن عباد، المحيط في اللغة ج1 ص202، ابن منظور. لسان العرب ج2 ص489

4- الخليل بن أحمد، العين ج3 ص155

5- ابن القطّاع، كتاب الأفعال ص150

6- الأزهري، تهذيب اللغة ج2 ص48، القاموس المحيط ج1 ص287

7- الزبيدي. تاج العروس ج1 ص1637، الرازي. مختار الصحاح ج1 ص131

8- ابن حبان. صحيح ابن حبان حديث رقم 6476 ج14 ص393-395، المقدسي. الأحاديث المختارة ج1 ص123، مسند أحمد حديث 15 ج1 ص4.

9- ابن منظور. لسان العرب ج2 ص489-490 ، الرازي. مختار الصحاح ج1 ص131

10- ابن منظور. لسان العرب ج2 ص490

أخرى مثل "القبول" و"الاحترام" التي تدين بها جماعات مختلفة. التسامح كمفهوم يتضمن القدرة على إيقاع العقوبة إلى جانب القرار الواعي بعدم استخدام تلك القدرة. يستخدم مصطلح التسامح عادة للإشارة إلى الممارسات الجماعية غير المبررة في أي مجال كان وهي نادراً ما تقسح المجال للتصرفات العنيفة⁽¹⁾.

ومن التعريفات الاصطلاحية للتسامح أنه: "نوع من أنواع الإحسان إلى النفوس التي جُبلت على حب من أحسن إليها، لذا فإن التسامح يؤدي إلى المحبة والتآلف ونبذ العنف والتنافر، والتسامح هو : القلب النابض لحياة طيبة ونفس زكية خالية من العنف والتطرف"⁽²⁾.

وعرفه آخر بقوله: "هو التجاوز والعفو، وهو دعامة من دعائم العلاقات الإنسانية الإسلامية... والتسامح في الفكر الغربي من المفاهيم والمصطلحات التي ولدت في عصور الإصلاح الديني التي أعقبت القرون الدموية. وتشير دائرة المعارف البريطانية إلى أن مفهوم التسامح مرتبط بالتعددية وقبول الاختلاف والسماح بحرية الرأي، ثم يؤدي بعد ذلك إلى العفو والتجاوز"⁽³⁾. وتحدث آخر عن معناه الحديث فقال: "والتسامح بالمعنى الحديث يدل على قبول اختلاف الآخرين - سواء في الدين أم العرق أم السياسة - أو عدم منع الآخرين من أن يكونوا آخرين أو إكراههم على التخلي عن آخريتهم"⁽⁴⁾.

وهناك العديد من العبارات التي يحاول أصحابها توصيف التسامح بها تنتشر عبر منتديات الإنترنت، منها: التسامح هو موقف من الآخر سواء كان إنساناً أو فكرياً أو رأياً، انه الموقف الذي ينم عن سعة صدر واستعداد لفهم وتفهم الآخرين سواء كانوا أجانِب مختلفين في الأصل أو الجنس أو الدين أو اللغة، أو كانوا من أبناء الوطن و لكنهم يختلفون في الرأي و الفكر والمصالح.

أخلص من هذه الاصطلاحات لمعنى التسامح بالقول :

التسامح : هو أدب خُلقي، وخلق إنساني رفيع، يدفع صاحبه إلى الترفع عن العدل مع القدرة عليه إلى ما هو أفضل منه وهو الإحسان لمن له عليه حق، الأمر الذي يؤدي إلى نبذ الشحناء والاختلاف وشد أواصر اللُّحمة والمحبة بين أفراد المجتمعات، وتحقيق خلافة الإنسان في الأرض على أكمل الأوجه، وتعايش الإنسانية جميعاً في وئام وسلام .

وسواء أُريدَ بوزن التفاعل في هذه الكلمة (التسامح)، المشاركة في المسامحة، أم المبالغة فيها من أحد الطرفين، إلا أن هذه الكلمة ومشتقاتها لم ترد في القرآن الكريم، والذي يمعن النظر في القرآن الكريم يجد معاني التسامح تتجه إليه من كل حذب وصوب، آيات القرآن الكريم زاخرة بهذه المعاني، إذ هو الرسالة السمحة التي ارتضاها الله سبحانه وتعالى مكّلة ومظهرة لسماحة الرسالات السابقة والمرسلين عليهم وعلى نبينا أفضل الصلاة وأكمل التسليم. فكلمة التسامح تدل على مفهوم كلي، أما الكلمات القرآنية فتدل على

1- الموسوعة الحرة رابط الموقع "http ar.wikipedia.org wiki %D8%AA%D8%B3%D8%A7%D9%85%D8%AD"

2- أ.د. حكمت بن بشير ، سماحة الإسلام في التعامل مع غير المسلمين، ص1

3- د. حسن سفر، نظرات استشرافية في فقه العلاقات الإنسانية بين المسلمين وغير المسلمين، ص6

4- الجابري. التسامح في الإسلام ، ص1. نقلا عن مقالة لمحمد منقذ الهاشمي من موقع http maaber.

التطبيق العملي للتسامح. وفي المبحث الآتي سأنتظر لبيان عدد من الألفاظ التي وردت في القرآن الكريم حاملة ومجسدة لمعاني التسامح.

المبحث الثاني: الألفاظ التي وردت في القرآن الكريم دالة على معنى التسامح

شاء الله سبحانه وتعالى أن يكون القرآن الكريم هو خاتم الرسالات السماوية، والإسلام دينه الذي يرتضيه، قال تعالى: (وَمَنْ يَبْتَغِ غَيْرَ الْإِسْلَامِ دِيناً فَلَنْ يُقْبَلَ مِنْهُ وَهُوَ فِي الْآخِرَةِ مِنَ الْخَاسِرِينَ) (آل عمران 85)، وقد جعل الله سبحانه وتعالى السماحة أساساً من أسس هذا الدين الحنيف فقال سبحانه: (وَمَنْ أَحْسَنُ دِيناً مِمَّنْ أَسْلَمَ وَجْهَهُ لِلَّهِ وَهُوَ مُحْسِنٌ وَاتَّبَعَ مِلَّةَ إِبْرَاهِيمَ حَنِيفاً وَاتَّخَذَ اللَّهُ إِبْرَاهِيمَ خَلِيلاً) (النساء 125)، وقال سبحانه: (قُلْ إِنِّي هَدَانِي رَبِّي إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ دِيناً قَيْماً مِلَّةَ إِبْرَاهِيمَ حَنِيفاً وَمَا كَانَ مِنَ الْمُشْرِكِينَ) (الأنعام 161)، وهذا ما بينه النبي صلى الله عليه وسلم في سنته، قولاً وفعلًا وخُلُقًا، فقال صلى الله عليه وسلم: "أحب الدين إلى الله الحنيفية السمحة"⁽¹⁾، وقال صلى الله عليه وسلم فيما رواه عنه البخاري بسنده إلى أبي هريرة أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: "إن الدين يسر ولن يشاد الدين أحد إلا غلبه"⁽²⁾، وفي حديث آخر يظهر معنى السماحة يقول صلى الله عليه وسلم: "رحم الله رجلاً سمحاً إذا باع وإذا اشترى وإذا اقتضى"⁽³⁾. وعديدة هي الكلمات، والمعاني التي وردت في القرآن الكريم مؤصلة لحقيقة التسامح، أورد منها -لا على سبيل الحصر- ما يأتي، مبينا معنى كل كلمة، وشواهدا من آيات القرآن الكريم:

أولاً: التوبة:

ومعنى التَّوْبَةُ الرجوع عن الذنب واستتابة سألته أن يتوب ⁽⁴⁾ والتَّوْبَةُ: الرُّجُوعُ مِنَ الذَّنْبِ. وفي الحديث: النَّدَمُ تَوْبَةٌ⁽⁵⁾. وتَابَ إِلَى اللَّهِ يَتُوبُ تَوْباً وَتَوْبَةً وَمَتَاباً: أَنَابَ وَرَجَعَ عَنِ الْمَعْصِيَةِ إِلَى الطَّاعَةِ. وتَابَ اللَّهُ عَلَيْهِ: وَفَّقَهُ لَهَا. وَرَجَلَ تَوَّابٌ: تَأَنَّبَ إِلَى اللَّهِ. وَاللَّهُ تَوَّابٌ: يَتُوبُ عَلَى عَبْدِهِ. وَأَصْلُ تَابَ عَادَ إِلَى اللَّهِ وَرَجَعَ وَأَنَابَ. وتَابَ اللَّهُ عَلَيْهِ أَي: عَادَ عَلَيْهِ بِالْمَغْفِرَةِ. وَاسْتَنْبَتُ فُلَاناً: عَرَضْتُ عَلَيْهِ التَّوْبَةَ مِمَّا اقْتَرَفَ أَي الرُّجُوعَ وَالنَّدَمَ عَلَى مَا فَرَطَ مِنْهُ⁽⁶⁾.

يقول أبو السعود: "التوبة هي الرجوع عن المعاصي بالندم عليها والعزم على أن لا يعاودها أبداً. وروى جابر رضي الله عنه أن أعرابياً دخل مسجد رسول الله صلى الله عليه وسلم وقال لعلي بن أبي طالب: يا أمير المؤمنين وما التوبة قال اسم يقع على ستة معان على الماضي من الذنوب الندامة ولتضييع الفرائض الإعادة ورد المظالم وإذابة النفس في الطاعة كما ربيتها في المعصية وإذاقتها مرارة الطاعة كما

1- البخاري. صحيح البخاري، باب رقم 28، قال فيه: باب الدين يسر ... أحب الدين إلى الله الحنيفية السمحة ج 1 ص 23

2- البخاري. صحيح البخاري، باب الدين يسر حديث رقم 39 ج 1 ص 23

3- البخاري. صحيح البخاري، باب السهولة والسماحة في الشراء والبيع حديث رقم 1970 ج 2 ص 730

4- الرازي. مختار الصحاح ج 1 ص 33

5- ابن حبان. صحيح ابن حبان ج 2 ص 377

6- ابن منظور. لسان العرب ج 1 ص 233

أدققتها حلوة المعصية والبكاء بدل كل ضحك ضحكته“⁽¹⁾ . ويقول المناوي: ”باب الأبواب هو التوبة لأنه أول ما يدخل إليه العبد حضرات القرب من جناب الرب“⁽²⁾ .

والتوبة من أعظم أبواب السماحة في الإسلام، فهذا الدين الحنيف لم يترك الباب موصدا أمام من يخطئ ويتجاوز الحدود، فيمنعه من الدخول إلى رحاب هذا الدين الحنيف، بل فتح جميع أبواب الرحمة التي تؤدي إلى توافق المجتمع وانسجامه وعيشه بسلام. ومن المعلوم بالضرورة أن المخطئ إذا تاب وعاد عن خطئه زاد ذلك من أمان المجتمع بقلّة عدد المخطئين وزيادة عدد الصالحين. والأكثر من ذلك أن سماحة الإسلام جعلت التائب من الذنب كمن لا ذنب له؛ قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: ”التائب من الذنب كمن لا ذنب له“⁽³⁾ . وآيات القرآن الكريم التي تشير إلى التوبة كثيرة منها :

1. قول الله تعالى: (فَمَنْ تَابَ مِنْ بَعْدِ ظُلْمِهِ وَأَصْلَحَ فَإِنَّ اللَّهَ يَتُوبُ عَلَيْهِ إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ) (المائدة 39)
2. وقوله تعالى: (وَعَلَى الثَّلَاثَةِ الَّذِينَ خُلِفُوا حَتَّىٰ إِذَا ضَاقَتْ عَلَيْهِمُ الْأَرْضُ بِمَا رَحُبَتْ وَضَاقَتْ عَلَيْهِمْ أَنْفُسُهُمْ وَظَنُّوا أَنْ لَا مَلْجَأَ مِنَ اللَّهِ إِلَّا إِلَيْهِ ثُمَّ تَابَ عَلَيْهِمْ لِيَتُوبُوا إِنَّ اللَّهَ هُوَ التَّوَّابُ الرَّحِيمُ) (التوبة 118)
3. وقوله تعالى: (فَاسْتَقِمْ كَمَا أُمِرْتَ وَمَنْ تَابَ مَعَكَ وَلَا تَطْغَوْا إِنَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ) (هود 112)
4. وقوله تعالى: (إِلَّا مَنْ تَابَ وَآمَنَ وَعَمِلَ صَالِحًا فَأُولَٰئِكَ يَدْخُلُونَ الْجَنَّةَ وَلَا يُظْلَمُونَ شَيْئًا) (مريم 60)
5. وقوله تعالى: (وَإِنِّي لَغَفَّارٌ لِمَنْ تَابَ وَآمَنَ وَعَمِلَ صَالِحًا ثُمَّ اهْتَدَى) (طه 82)
6. (وَمَنْ تَابَ وَعَمِلَ صَالِحًا فَإِنَّهُ يَتُوبُ إِلَى اللَّهِ مَتَابًا) (الفرقان 71)
7. (يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا تُوبُوا إِلَى اللَّهِ تَوْبَةً نَصُوحًا عَسَىٰ رَبُّكُمْ أَنْ يُكَفِّرَ عَنْكُمْ سَيِّئَاتِكُمْ وَيُدْخِلَكُم جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ يَوْمَ لَا يُخْزِي اللَّهُ النَّبِيَّ وَالَّذِينَ آمَنُوا مَعَهُ نُورُهُمْ يَسْعَىٰ بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَبِأَيْمَانِهِمْ يَقُولُونَ رَبَّنَا أَتْمِمْ لَنَا نُورَنَا وَاغْفِرْ لَنَا إِنَّكَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ) (التحریم 8)
8. (وَأَنِ اسْتَغْفِرُوا رَبَّكُمْ ثُمَّ تُوبُوا إِلَيْهِ يُمَتِّعْكُم مَّتَاعًا حَسَنًا إِلَىٰ أَجَلٍ مُّسَمًّى وَيُؤْتِ كُلَّ ذِي فَضْلٍ فَضْلَهُ وَإِن تَوَلَّوْا فَإِنِّي أَخَافُ عَلَيْكُمْ عَذَابَ يَوْمٍ كَبِيرٍ) (هود 3).
9. (وَيَا قَوْمِ اسْتَغْفِرُوا رَبَّكُمْ ثُمَّ تُوبُوا إِلَيْهِ يُرْسِلِ السَّمَاءَ عَلَيْكُمْ مِدْرَارًا وَيَزِدْكُمْ قُوَّةً إِلَىٰ قُوَّتِكُمْ وَلَا تَتَوَلَّوْا مُجْرِمِينَ) (هود 52)
10. (وَاسْتَغْفِرُوا رَبَّكُمْ ثُمَّ تُوبُوا إِلَيْهِ إِنَّ رَبِّي رَحِيمٌ وَدُودٌ) (هود 90).

والأثر الآتي يبين أهمية التوبة في رجوع الإنسان عن الشرك وتماديّه فيه ومقاتلته للمسلمين -حتى في حالة الردّة عن دين الله-؛ روى صاحب المستدرک بسنده عن ابن عباس رضي الله عنهما قال: ”كان رجل من الأنصار أسلم ثم ارتد، فلحق بالمشرکین ثم ندم، فأرسل إلى قومه، أن سلوا رسول الله صلى الله

1- أبو السعود. إرشاد العقل ج 8 ص 31

2- المناوي. التعريف ج 1 ص 110

3- القزويني. سنن ابن ماجه حديث رقم 4250 ج 2 ص 1419

عليه وسلم هل لي من توبة؟ قال: فنزلت (كَيْفَ يَهْدِي اللَّهُ قَوْمًا كَفَرُوا بَعْدَ إِيمَانِهِمْ...إِلَّا الَّذِينَ تَابُوا مِنْ بَعْدِ ذَلِكَ وَأَصْلَحُوا فَإِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ) (آل عمران 86-89) فأرسل إليه قومه فأسلم⁽¹⁾.

والتوبة الصحيحة قد تكون سببا لدخول الجنة وإن لم يتمكن صاحبها من عمل خير قط وهذه من أعظم صور تسامح الدين الإسلامي التي حث عليها نبي الرحمة صلى الله عليه وسلم، فقال صلوات الله وسلامه عليه - معلما صحبه الكرام أسس التسامح في الإسلام:-

” كان فيمن كان قبلكم رجل قتل تسعة وتسعين نفسا فسأل عن أعلم أهل الأرض فدل على راهب فأتاه فقال إنه قتل تسعة وتسعين نفسا فهل له من توبة فقال لا فقتله فكمّل به مائة ثم سأل عن أعلم أهل الأرض فدل على رجل عالم فقال إنه قتل مائة نفس فهل له من توبة فقال نعم ومن يحول بينه وبين التوبة انطلق إلى أرض كذا وكذا فإن بها أناسا يعبدون الله فاعبد الله معهم ولا ترجع إلى أرضك فإنها أرض سوء فانطلق حتى إذا نصف الطريق أتاه الموت فاختصمت فيه ملائكة الرحمة وملائكة العذاب فقالت ملائكة الرحمة جاء تائبا مقبلا بقلبه إلى الله وقالت ملائكة العذاب إنه لم يعمل خيرا قط فأتاهم ملك في صورة آدمي فجعلوه بينهم فقال قيسوا ما بين الأرضين فألّى أيتهما كان أدنى فهو له. فقاسوه فوجدوه أدنى إلى الأرض التي أراد فقبضته ملائكة الرحمة قال قتادة فقال الحسن ذكر لنا أنه لما أتاه الموت نأى ب صدره“⁽²⁾.

ثانيا: المغفرة:

قال ابن منظور: ”الْغُفُورُ الْغَفَّارُ جَلَّ ثَنَاهُ وَهُمَا مِنْ أُنْبِيَةِ الْمُبَالِغَةِ وَمَعْنَاهُمَا؛ السَّاتِرُ لَذُنُوبِ عِبَادِهِ، الْمُتَجَاوِزُ عَنْ خَطَايَاهُمْ وَذُنُوبِهِمْ. يقال: اللَّهُمَّ اغْفِرْ لَنَا مَغْفِرَةً وَغُفْرًا وَغُفْرَانًا. وَإِنَّكَ أَنْتَ الْغُفُورُ الْغَفَّارُ يَا أَهْلَ الْمَغْفِرَةِ. وَأَصْلُ الْغُفْرِ التَّغْطِيَةُ وَالسُّتْرُ غَفَرَ اللَّهُ ذَنْبَهُ أَيِ سَتَرَهَا“⁽³⁾. وقال الأزهري: ”أصل الغفر: الستر والتغطية، وغفر الله ذنوبه: أي سترها ولم يفضحه بها على رؤوس الملائكة. وكل شيء سترته فقد غفرته“⁽⁴⁾. وخص الجرجاني المغفرة بستر السيد القادر على من هو دونه فقال: ”المغفرة هي أن يستر القادر القبيح الصادر ممن تحت قدرته حتى أن العبد إن ستر عيب سيده مخافة عتابه لا يقال غفر له“⁽⁵⁾

وبما أن المغفرة هي ستر الذنوب وعدم كشف عورات المذنبين فهي بذلك تكون من أرفع أخلاق التسامح مكانة، إذ أن عدم إظهار الذنوب وفضح مرتكبها على الخلائق يفتح أبواب التوبة وعمل الحسنى لمن أذنب تكفيرا عن ذنبه، أما إن كشفت عيوب الناس وظهرت سوءاتهم كان ذلك سببا في عدم رجوعهم عن هذه الذنوب، وأصبحت وصمة عار لا تفارق صاحبها حيثما توجه، ومن عرف عند الناس بذنوبه عدّوه كالمريض الذي ينبغي أن يبتعدوا عنه، وظاهر ما في ذلك من أثر نفسي على هذا الإنسان التائب .

1- النيسابوري. المستدرک علی الصحیحین، حدیث رقم 2628 ج 2 ص 154

2- القشيري. صحيح مسلم باب قبول توبة القاتل وإن كثر قتله حدیث رقم 2766 ج 4 ص 2118

3- ابن منظور. لسان العرب ج 5 ص 25، وينظر ابن فارس. مقاييس اللغة. ج 4 ص 310، ابن سيده. المحكم والمحيط الأعظم ج 2 ص 424

4- الأزهري. تهذيب اللغة ج 3 ص 73، وينظر الرازي. مختار الصحاح ج 1 ص 199، الجوهري. الصحاح في اللغة ج 2 ص 21، الزبيدي. تاج العروس

ج 1 ص 3304، إبراهيم مصطفى وآخرون، المعجم الوسيط ج 2 ص 223

5- الجرجاني. التعريفات ج 1 ص 286

وآيات القرآن الكريم التي تتحدث عن المغفرة كثيرة، منها ما يأتي :

1. (لِلَّهِ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَإِنْ تُبْذَوْا مَا فِي أَنْفُسِكُمْ أَوْ تُخْفَوْهُ يُحَاسِبْكُمْ بِهِ اللَّهُ فَيَغْفِرْ لِمَنْ يَشَاءُ وَيُعَذِّبُ مَنْ يَشَاءُ وَاللَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ) (البقرة 284).
 2. (أَمَنْ الرُّسُولُ بِمَا أُنْزِلَ إِلَيْهِ مِنْ رَبِّهِ وَالْمُؤْمِنُونَ كُلُّ آمَنَ بِاللَّهِ وَمَلَائِكَتِهِ وَكُتُبِهِ وَرُسُلِهِ لَا نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِنْ رُسُلِهِ وَقَالُوا سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا غُفْرَانَكَ رَبَّنَا وَإِلَيْكَ الْمَصِيرُ) (البقرة 285)
 3. (وَمَنْ يَعْمَلْ سُوءًا أَوْ يَظْلِمْ نَفْسَهُ ثُمَّ يَسْتَغْفِرِ اللَّهَ يَجِدِ اللَّهَ غَفُورًا رَحِيمًا) (النساء 110)
 4. (وَمَا كَانَ اللَّهُ لِيُعَذِّبَهُمْ وَأَنْتَ فِيهِمْ وَمَا كَانَ اللَّهُ مُعَذِّبَهُمْ وَهُمْ يَسْتَغْفِرُونَ) (لأنفال 33)
 5. (قُلْ لِلَّذِينَ كَفَرُوا إِنْ يَنْتَهُوا يُغْفَرْ لَهُمْ مَا قَدْ سَلَفَ وَإِنْ يَعُودُوا فَقَدْ مَضَتْ سُنَّتُ الْأَوَّلِينَ) (لأنفال 33)
 6. (وَإِنَّ رَبَّكَ لَذُو مَغْفِرَةٍ لِلنَّاسِ عَلَى ظُلْمِهِمْ وَإِنَّ رَبَّكَ لَشَدِيدُ الْعِقَابِ) (الرعد 6)
- ومن كرم الله سبحانه وتعالى أن جعل ملائكة يستغفرون لعباده التائبين، فقال جل جلاله:
7. (الَّذِينَ يَحْمِلُونَ الْعَرْشَ وَمَنْ حَوْلَهُ يُسَبِّحُونَ بِحَمْدِ رَبِّهِمْ وَيُؤْمِنُونَ بِهِ وَيَسْتَغْفِرُونَ لِلَّذِينَ آمَنُوا رَبَّنَا وَسِعْتَ كُلَّ شَيْءٍ رَحْمَةً وَعِلْمًا فَاغْفِرْ لِلَّذِينَ تَابُوا وَاتَّبَعُوا سَبِيلَكَ وَقِهِمْ عَذَابَ الْجَحِيمِ) (غافر 7)
 8. (تَكَادُ السَّمَاوَاتُ يَتَفَطَّرْنَ مِنْ فَوْقِهِنَّ وَالْمَلَائِكَةُ يُسَبِّحُونَ بِحَمْدِ رَبِّهِمْ وَيَسْتَغْفِرُونَ لِمَنْ فِي الْأَرْضِ إِلَّا إِنْ اللَّهُ هُوَ الْعَفُورُ الرَّحِيمُ) (الشورى 5).
- وإذا كانت أكثر الآيات الكريمة تجعل المغفرة خاصة بالله سبحانه وتعالى، فهو المطلع على جميع الذنوب لا تخفى عليه خافية، وهو الذي يسترها في الدنيا والآخرة، إلا أن الله سبحانه وتعالى أثنى على عباده الذين يتخلقون بهذا الخلق العظيم، وندب عباده للتخلي به فقال جل جلاله :
9. (وَالَّذِينَ يَجْتَنِبُونَ كَبَائِرَ الْإِثْمِ وَالْفَوَاحِشَ وَإِذَا مَا غَضِبُوا هُمْ يَغْفِرُونَ) (الشورى 37)
 10. (وَلَمَنْ صَبَرَ وَغَفَرَ إِنَّ ذَلِكَ لَمِنْ عَزْمِ الْأُمُورِ) (الشورى 43)
 11. (قُلْ لِلَّذِينَ آمَنُوا يَغْفِرُوا لِلَّذِينَ لَا يَرْجُونَ أَيَّامَ اللَّهِ لِيَجْزِيَ قَوْمًا بِمَا كَانُوا يَكْسِبُونَ) (الجالية 14)
 12. (وَإِنْ تَعَفُّوا وَتَصَنَّفُوا وَتَغْفِرُوا فَإِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ) (التغابن 14)

ثالثاً: العفو:

يقول ابن منظور: "عفا) في أسماء الله تعالى العَفُوُّ وهو فَعُولٌ من العَفْوِ وهو التَّجَاوُزُ عن الذنب وتَرْكُ العقابِ عليه وأصله المَحْوُ والطَّمْسُ وهو من أُنْبِيَةِ الْمُبَالِغَةِ يقال عَفَا يَعْفُو عَفْواً فهو عَافٍ وَعَفُوٌ ... والله تعالى العَفُوُّ الغُفُورُ وكلُّ من استحقَّ عُقُوبَةً فَمَرَّكَتْهَا فَقَدْ عَفَوَتْ عنه... عَفَتِ الرِّيحُ الْآثَارَ إِذَا دَرَسَتْهَا وَمَحَتْهَا... وفي حديث أبي بكر رضي الله عنه : سَلُوا اللَّهَ الْعَفْوَ وَالْعَافِيَةَ وَالْمُعَافَاةَ⁽¹⁾. فأما العَفْوُ فهو ما وصفناه من مَحْوِ الله تعالى ذُنُوبَ عبده عنه، وأما العَافِيَةُ فهو أَنْ يُعَافِيَهُ اللهُ تعالى من سُفْمٍ أَوْ بَلِيَّةٍ وهي الصَّحَّةُ ضِدُّ الْمَرَضِ يقال عَافَاهُ اللهُ وَأَعْفَاهُ أَيَّ وَهَبَ لَهُ الْعَافِيَةَ مِنَ الْعِلِّ وَالْبَلَايَا، وَأما الْمُعَافَاةُ فَأَنْ يُعَافِيَكَ

1- النيسابوري، المستدرک علی الصحیحین، حدیث رقم 1938 ج1 ص711، النسائي، السنن الكبرى حديث رقم 10717 ج6 ص220

الله من الناس وَيُعَافِيهِمْ مَنْكَ أَيُّ يُغْنِيكَ عَنْهُمْ وَيَغْنِيهِمْ عَنْكَ وَبِصَرَفِ أَذَاهُمْ عَنْكَ وَأَذَاكَ عَنْهُمْ وَقِيلَ هِيَ مُفَاعَلَةٌ مِنَ الْعَفْوِ وَهُوَ أَنْ يَعْفُوَ عَنِ النَّاسِ وَيَعْفُوا هُمْ عَنْهُ (1) .

يظهر من هذا التعريف أن العفو تجاوز المعتدّي عليه عن ذنب المعتدي وترك عقابه عن الذنب الذي اقترفه؛ ولا شك أن الذي يترك العقاب هو القادر عليه. وهذه الكلمة القرآنية تمثل خلقاً رفيعاً من أعظم أخلاق التسامح .

ويظهر ذلك أيضاً في تفسير الزمخشري -رحمه الله- لقول الله تعالى: (إِنْ تُبْذُوا خَيْرًا أَوْ تُخْفُوا أَوْ تَعْفُوا عَنْ سُوءٍ فَإِنَّ اللَّهَ كَانَ عَفُوًّا قَدِيرًا) (النساء 149)، حيث يقول: "والدليل على أن العفو هو الغرض المقصود بذكر إبداء الخير وإخفائه قوله: (إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَفُوًّا قَدِيرًا) أي يعفو عن الجانبين مع قدرته على الانتقام، فعليكم أن تقتدوا بسنة الله" (2) . وفرق أهل التفسير بين العفو والمغفرة بقولهم :

"إن طلب العفو هو أن يسقط عنه عقاب ذنوبه، وطلب المغفرة هو أن يستر عليه صوتاً له من الفضيحة كأن العبد يقول: أطلب منك العفو وإذا عفوت عني فاستره علي فإذا عفا الله تعالى عن العبد وستره طلب الرحمة التي هي الإنعام والإحسان ليفوز بالنعيم والثواب" (3) . وآيات القرآن الكريم التي تنثي على هذا الخلق السامح الرفيع وتحث الناس على التخلق والتحلي به كثيرة منها :

1. قول الله تعالى : (وَإِنْ طَلَّقْتُمُوهُنَّ مِنْ قَبْلِ أَنْ تَمْسُوهُنَّ وَقَدْ فَرَضْتُمْ لَهُنَّ فَرِيضَةً فَنِصْفُ مَا فَرَضْتُمْ إِلَّا أَنْ يَعْفُونَ أَوْ يَعْفُوَ الَّذِي بِيَدِهِ عُقْدَةُ النِّكَاحِ وَأَنْ تَعْفُوا أَقْرَبُ لِلتَّقْوَى) (البقرة 237) .

والعفو هاهنا معناه الإفضال بإعطاء ما لا يجبُ على الزوج للزوجة المطلقة قبل الدخول، أو ترك المرأة ما يجبُ لها من نصف المهر لمطلقها. يقال عفوت لفلان بمالي إذا أفضلت له فأعطيته وعفوت له عما لي عليه إذا تركته له (4)، وهذا الأمر من أعظم صور التسامح ورفعة الأخلاق حتى بين الزوجين المطلقين.

2. وقوله تعالى: (إِنْ تُبْذُوا خَيْرًا أَوْ تُخْفُوا أَوْ تَعْفُوا عَنْ سُوءٍ فَإِنَّ اللَّهَ كَانَ عَفُوًّا قَدِيرًا) (النساء 149).

3. وقوله تعالى: (يَا أَهْلَ الْكِتَابِ قَدْ جَاءَكُمْ رَسُولُنَا يُبَيِّنُ لَكُمْ كَثِيرًا مِمَّا كُنْتُمْ تُخْفُونَ مِنَ الْكِتَابِ وَيَعْفُو عَنْ كَثِيرٍ قَدْ جَاءَكُمْ مِنَ اللَّهِ نُورٌ وَكِتَابٌ مُبِينٌ) (المائدة 15).

4. وقوله تعالى: (وَلَا يَأْتَلِ أُولُو الْفَضْلِ مِنْكُمْ وَالسَّعَةِ أَنْ يُؤْثُوا أُولِي الْقُرْبَى وَالْمَسَاكِينَ وَالْمُهَاجِرِينَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَلْيَعْفُوا وَلْيَصْفَحُوا أَلَا تُحِبُّونَ أَنْ يَغْفِرَ اللَّهُ لَكُمْ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ) (النور 22).

5. وقوله تعالى : (وَهُوَ الَّذِي يَقْبَلُ التَّوْبَةَ عَنْ عِبَادِهِ وَيَعْفُو عَنِ السَّيِّئَاتِ وَيَعْلَمُ مَا تَفْعَلُونَ) (الشورى 25).

6. وقوله تعالى: (وَمَا أَصَابَكُمْ مِنْ مُصِيبَةٍ فَبِمَا كَسَبَتْ أَيْدِيكُمْ وَيَعْفُو عَنْ كَثِيرٍ) (الشورى 30) .

1- ابن منظور. لسان العرب ج15 ص72، الأزهرى. تهذيب اللغة ج1 ص385، الرازي. مختار الصحاح ج1 ص186، الزبيدي. تاج العروس

ج1 ص8502، المخزومي. تفسير مجاهد ج1 ص201، ج5 ص254

2- الزمخشري. الكشاف ج1 ص483

3- الخازن. ليلاب التأويل في معاني ج1 ص315

4- الطبر. جامع البيان ج2 ص549، الكلبي. التسهيل لعلوم التنزيل ج1 ص86، تفسير النسفي ج1 ص116، الألوسي. روح المعاني ج2 ص154

7. وقوله تعالى: (الَّذِينَ يُظَاهِرُونَ مِنْكُمْ مِنْ نِسَائِهِمْ مَا هُنَّ أُمَّهَاتِهِمْ إِنْ أُمَّهَاتُهُمْ إِلَّا اللَّائِي وَلَدْنَهُمْ وَإِنَّهُمْ لَيَقُولُونَ مُنْكَرًا مِنَ الْقَوْلِ وَزُورًا وَإِنَّ اللَّهَ لَعَفُوٌ غَفُورٌ) (المجادلة 2) .

8. وقوله تعالى: (يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِنْ مِنْ أَرْوَاحِكُمْ وَأَوْلَادِكُمْ عَدُوٌّ لَكُمْ فَاحْذَرُوهُمْ وَإِنْ تَعَفَّوْا وَتَصَفَّحُوا وَتَغْفِرُوا فَإِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ) (التغابن 14) .

9. والآية الآتية تبين أن العدل بالافتصاص من الظالم شرع الله، لكن الله سبحانه وتعالى يمدح نفسه بالعفو والمغفرة، مبينا لعباده أنه من أراد سمح الأخلاق وأرفعها فليتحدى بهذه الصفات؛ وهي قوله تعالى: (ذَلِكَ وَمَنْ عَاقَبَ بِمِثْلِ مَا عُوقِبَ بِهِ ثُمَّ بُغِيَ عَلَيْهِ لِيُنْصَرَّتْهُ اللَّهُ إِنَّ اللَّهَ لَعَفُوٌ غَفُورٌ) (الحج 60)

10. إن أعظم صور التسامح المتجسدة في هذا الخلق الرفيع، ما أشار إليه قول الله سبحانه وتعالى: (يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُتِبَ عَلَيْكُمُ الْقِصَاصُ فِي الْقَتْلَى الْحُرُّ بِالْحُرِّ وَالْعَبْدُ بِالْعَبْدِ وَالْأُنْثَى بِالْأُنْثَى فَمَنْ عُفِيَ لَهُ مِنْ أَخِيهِ شَيْءٌ فَاتَّبَاعٌ بِالْمَعْرُوفِ وَأَدَاءٌ إِلَيْهِ بِإِحْسَانٍ ذَلِكَ تَخْفِيفٌ مِنْ رَبِّكُمْ وَرَحْمَةٌ فَمَنِ اعْتَدَى بِكَ فَلَهِ عَذَابٌ أَلِيمٌ) (البقرة 178). حيث أظهرت هذا الآية الكريمة شرع الله سبحانه وتعالى وعده في القصاص الذي كان في جميع الشرائع السابقة، وفضل الله تعالى على هذه الأمة أن حلالها بأردية السماحة ومن عليها بأرفع الأخلاق، فأجاز لها قبول الدية في المقتول، وقد أوضح ذلك ابن عباس رضي الله عنهما فقال: " كان القصاص في بني إسرائيل ولم تكن فيهم الدية... فالعفو أن تُقْبَلَ الدية في العمد، ذلك تخفيف من ربكم مما كُتِبَ على من كان قبلكم. يطلب هذا بإحسان ويؤدِّي هذا بإحسان... وليس العفو في قوله فمن عُفِيَ له من أخيه عفواً من وليِّ الدِّمِّ، ولكنه عفو من الله عز وجل وذلك أن سائر الأمم قبل هذه الأمة لم يكن لهم أخذ الدية إذا قُتِلَ قَتِيل فجعله الله لهذه الأمة عفواً منه وفضلاً مع اختيار وليِّ الدِّمِّ ذلك في العمد... فمن اعتدى أي فمن سَفَكَ دَمَ قَاتِلٍ وَلِيَّهَ بَعْدَ قَبُولِهِ الدِّية فله عذاب أليم " (1).

11. وفي هذا الموضوع يقول سيد قطب رحمه الله، عند تفسيره لقوله تعالى :

(وَجَزَاءُ سَيِّئَةٍ سَيِّئَةٌ مِثْلُهَا فَمَنْ عَفَا وَأَصْلَحَ فَأَجْرُهُ عَلَى اللَّهِ إِنَّهُ لَا يُحِبُّ الظَّالِمِينَ) (الشورى 40)

" فهذا هو الأصل في الجزاء. مقابلة السيئة بالسيئة، كي لا يتبجح الشر ويطغى، حين لا يجد رادعاً يكفه عن الإفساد في الأرض فيمضي وهو آمن مطمئن. ذلك مع استحباب العفو ابتغاء أجر الله وإصلاح النفس من الغيظ، وإصلاح الجماعة من الأحقاد. وهو استثناء من تلك القاعدة. والعفو لا يكون إلا مع المقدرة على جزاء السيئة بالسيئة. فهنا يكون العفو وزنه ووقعه في إصلاح المعتدي والمسامح سواء. فالمعتدي حين يشعر بأن العفو جاء سماحة ولم يجئ ضعفاً يخجل ويستحيي، ويحس بأن خصمه الذي عفا هو الأعلى، والقوي الذي يعفو تصفو نفسه وتعلو. فالعفو عندئذ خير لهذا وهذا. ولا كذلك عند الضعف والعجز، وما يجوز أن يذكر العفو عند العجز، فليس له ثمة وجود. وهو شر يطمع المعتدي ويذل المعتدى عليه، وينشر في الأرض الفساد. (إنه لا يحب الظالمين) وهذا تأكيد للقاعدة الأولى: (وجزاء سيئة سيئة مثله) من ناحية، وإحياء بالوقوف عند رد المساءة أو العفو عنها. وعدم تجاوز الحد في الاعتداء، من ناحية أخرى. وتأكيد

آخر أكثر تفصيلاً: (وَلَمَنِ انْتَصَرَ بَعْدَ ظُلْمِهِ فَأُولَئِكَ مَا عَلَيْهِمْ مِنْ سَبِيلٍ + إِنَّمَا السَّبِيلُ عَلَى الَّذِينَ يَظْلِمُونَ النَّاسَ وَيَبْغُونَ فِي الْأَرْضِ بِغَيْرِ الْحَقِّ أُولَئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ) (الشورى 41-42) فالذي ينتصر بعد ظلمه، ويجزي السيئة بالسيئة، ولا يعتدي، ليس عليه من جناح وهو يزول حقه المشروع، فما لأحد عليه من سلطان، ولا يجوز أن يقف في طريقه أحد. إنما الذين يجب الوقوف في طريقهم هم الذين يظلمون الناس، ويبغون في الأرض بغير الحق. فإن الأرض لا تصلح وفيها ظالم لا يقف له الناس ليكفوه ويمنعوه من ظلمه؛ وفيها باغ يجور ولا يجد من يقاومه ويقتص منه. والله يتوعد الظالم الباغي بالعذاب الأليم. ولكن على الناس كذلك أن يقفوا له ويأخذوا عليه الطريق. ثم يعود إلى التوازن والاعتدال وضبط النفس والصبر والسماحة في الحالات الفردية، وعند المقدرة على الدفع كما هو مفهوم؛ وحين يكون الصبر والسماحة استعلاء لا استخذاء؛ وتجملاً لا ذلاً: (وَلَمَنْ صَبَرَ وَغَفَرَ إِنَّ ذَلِكَ لَمِنْ عَزْمِ الْأُمُورِ) (الشورى 43) ومجموعة النصوص في هذه القضية تصور الاعتدال والتوازن بين الاتجاهين؛ وتحرص على صيانة النفس من الحقد والغيط، ومن الضعف والذل، ومن الجور والبغي. وتعلقها بالله ورضاه في كل حال. وتجعل الصبر زاد الرحلة الأصيل⁽¹⁾.

رابعاً: الصفح:

وضَّح الأصفهاني معنى الصفح وأظهر الفرق بينه وبين العفو فقال: "والصفح: ترك الترتيب، وهو أبلغ من العفو، ولذلك قال: (فَاعْفُوا وَاصْفَحُوا حَتَّى يَأْتِيَ اللَّهُ بِأَمْرِهِ) (البقرة 109)، وقد يعفو الإنسان ولا يصفح. قال: (فَاصْفَحْ عَنْهُمْ وَقُلْ سَلَامٌ) (الزخرف 89)، (فَاصْفَحِ الصَّفْحَ الْجَمِيلَ) (الحجر 85)"⁽²⁾. وعلى نحوه قال المناوي في التعاريف: "الصفح ترك التأنيب وهو أبلغ من العفو فقد يعفو ولا يصفح"⁽³⁾.

وقال الإمام الطبري في معرض تفسيره للآية الكريمة: (فَاصْفَحِ الصَّفْحَ الْجَمِيلَ) (الحجر 85): "فأعرض عنهم إعراضاً جميلاً واعف عنهم عفواً حسناً"⁽⁴⁾. وهو ما خلا عن عتاب⁽⁵⁾. أما الإمام الواحدي فقال: "أي أعرض إعراضاً يغير فحش ولا جزع"⁽⁶⁾. وأورد السيوطي بسنده عن علي بن أبي طالب أنه قال: الرضا بغير عتاب⁽⁷⁾. وقال السعدي في تفسيره: "وهو الصفح الذي لا أذية فيه بل قابل إساءة المسيء بالإحسان وذنبه بالغفران لتتال من ريك جزيل الأجر والثواب فإن كل ما هو آت فهو قريب وقد ظهر لي معنى أحسن مما ذكرت هنا وهو أن المأمور به هو الصفح الجميل أي الحسن الذي قد سلم من الحقد والأذية القولية والفعلية دون الصفح الذي ليس بجميل وهو الصفح في غير محله فلا يصفح حيث اقتضى

1- قطب. في ظلال القرآن ج 5 ص 3167

2- الراغب الأصفهاني. مفردات ألفاظ القرآن ج 1 ص 583

3- المناوي. التعاريف ج 1 ص 457

4- الطبر. جامع البيان ج 14 ص 51، تفسير النسفي ج 2 ص 247، الرازي. التفسير الكبير ج 19 ص 163، الزمخشري. الكشاف ج 2 ص 548، البيضاوي. أنوار التنزيل وأسرار التأويل ج 3 ص 380،

5- الألوسي. روح المعاني ج 14 ص 77

6- الواحدي. الوجيز في تفسير الكتاب العزيز ج 1 ص 597، السمرقندي. تفسير السمرقندي ج 2 ص 261

7- السيوطي. الدر المنثور ج 5 ص 94

المقام العقوبة كعقوبة المعتدين الظالمين الذين لا ينفع فيهم إلا العقوبة⁽¹⁾ . فالعفو: ترك المؤاخذه بالذنب، والصفح: ترك أثره من النفس .

وآيات القرآن الكريم التي تحت الناس على التحلي بهذا الخلق السمح العظيم عديدة منها:

1. قول الله سبحانه وتعالى: (وَدَّ كَثِيرٌ مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ لَوْ يَرُدُّونَكُمْ مِنْ بَعْدِ إِيمَانِكُمْ كُفَّارًا حَسَدًا مِنْ عِنْدِ أَنْفُسِهِمْ مِنْ بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُمُ الْحَقُّ فَاعْفُوا وَاصْفَحُوا حَتَّى يَأْتِيَ اللَّهُ بِأَمْرِهِ إِنَّ اللَّهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ) (البقرة 109)

2. وقوله تعالى: (...فَاعْفُ عَنْهُمْ وَاصْفَحْ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ) (المائدة 13)

3. وقوله تعالى: (...وَإِنَّ السَّاعَةَ لَآتِيَةٌ فَاصْفَحِ الصَّفْحَ الْجَمِيلَ) (الحجر 85)

4. وقوله تعالى: (وَلَا يَأْتَلِ أُولُو الْفَضْلِ مِنْكُمْ وَالسَّعَةِ أَنْ يُؤْتُوا أُولِي الْقُرْبَى وَالْمَسَاكِينَ وَالْمُهَاجِرِينَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَلْيَعْفُوا وَلْيَصْفَحُوا أَلَا تُحِبُّونَ أَنْ يَغْفِرَ اللَّهُ لَكُمْ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ) (النور 22)

5. وقوله تعالى: (فَاصْفَحْ عَنْهُمْ وَقُلْ سَلَامٌ فَسَوْفَ يَعْلَمُونَ) (الزخرف 89)

6. وقوله تعالى: (يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِنَّ مِنْ أَرْوَاجِكُمْ وَأَوْلَادِكُمْ عَدُوًّا لَكُمْ فَاحْذَرُوهُمْ وَإِنْ تَعَفُّوا وَتَصْفَحُوا وَتَغْفِرُوا فَإِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ) (التغابن 14) .

خامسا: كظم الغيظ

وهذا الخلق العظيم من أرفع أخلاق التسامح وأعظمها شأنًا خصوصًا إذا ما جمع مع باقي الأخلاق السمحة الأخرى، وقد كشف أهل التفسير عن معنى هذا الخلق مستدلين بالمعنى اللغوي للفظ فقالوا عند تفسيرهم قول الله تعالى: (وَالْكَاطِمِينَ الْغَيْظِ) (آل عمران 134): والكظم حبس الشيء عند امتلائه ومنه قوله تعالى: (إِذِ الْقُلُوبُ لَدَى الْحَنَاجِرِ كَاطِمِينَ) (غافر 18)؛ أي الجارعين الغيظ عند امتلاء نفوسهم منه، الممسكين عليه الكافين عن إرضائه مع القدرة، من كَظَمْتُ القربة إذا ملأتها وشدت رأسها، وكظم الغيظ أن يمتلي غيظًا فيرده في جوفه ولا يظهره لا بقول ولا بفعل، وأن يمسك على ما في نفسه منه بالصبر ولا يظهر له أثرًا . والغيظ توقد حرارة القلب من الغضب، وعن النبي صلى الله عليه وسلم من كظم غيظًا وهو بقدر على إنفاذه ملأ الله قلبه أمنا وإيمانًا⁽²⁾ . ومن المعلوم أن الغضب إذا سيطر على الإنسان أخذ منه كل مأخذ حتى يخرج عن جميع أطواره، وهنا تظهر سماحة هذا الدين بالحث على كظم الغيظ إذ فيه أرفع درجات السماحة، ومن الآيات الدالة على شدة تأجج المشاعر التي تسيطر على الإنسان من غيظ:

1. قوله تعالى: (وَتَوَلَّى عَنْهُمْ وَقَالَ يَا أَسَفَى عَلَى يُوسُفَ وَابْيَضَّتْ عَيْنَاهُ مِنَ الْحُزَنِ فَهُوَ كَظِيمٌ) (يوسف 84).

2. (فَاصْبِرْ لِحُكْمِ رَبِّكَ وَلَا تَكُنْ كَصَاحِبِ الْحُوتِ إِذْ نَادَى وَهُوَ مَكْظُومٌ) (القلم 48)

1- السعدي. تيسير الكريم الرحمن في تفسير الكريم ج1 ص434

2- البيضاوي. أنوار التنزيل وأسرار التأويل ج2 ص93، النسفي. تفسير النسفي ج1 ص179، الجزري. النهاية في غريب الحديث والأثر ج4

ص178، الرازي. التفسير الكبير ج9 ص7، تفسير ابن كثير ج1 ص407،

3. (وَأُنْزِرُهُمْ يَوْمَ الْآزِفَةِ إِذِ الْقُلُوبُ لَدَى الْحَنَاجِرِ كَاطِمِينَ مَا لِلظَّالِمِينَ مِنْ حَمِيمٍ وَلَا شَفِيعٍ يُطَاعُ) (غافر 18)

فإذا كانت الآيات السابقة تصوّر شدة البأس، وتأجج الحال الذي يكون فيه من وصف بالكظم، فإن الله سبحانه وتعالى جعل أعظم جزاء لمن يكظم غيظه وبطفئ النار التي تنقد في صدره ويعفو عن المسيء بل ويزيد ذلك بالإحسان، طاعة لله واحتساباً لرضاه، حيث قال سبحانه :

4. (وَسَارِعُوا إِلَى مَغْفِرَةٍ مِنْ رَبِّكُمْ وَجَنَّةٍ عَرْضُهَا السَّمَاوَاتُ وَالْأَرْضُ أُعِدَّتْ لِلْمُتَّقِينَ + الَّذِينَ يُنْفِقُونَ فِي السَّرَّاءِ وَالضَّرَّاءِ وَالْكَاطِمِينَ الْغَيْظَ وَالْعَافِينَ عَنِ النَّاسِ وَاللَّهُ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ) (آل عمران 133-134)
فكان هذه الجنة أعدت أصلاً لهؤلاء الموصوفين في الآية السابقة .

ومن عظم هذا الخلق السماح أنه كان سبيلاً للإحسان عند من تخلق به، وكان سبيلاً لتحرير الرقيق من العبودية؛ فمن اللطائف التي تروى في هذا الباب ما أورده الإمام البيهقي عن علي بن الحسين رحمهم الله حيث يقول: "جعلت جارية لعلي بن الحسين تسكب عليه الماء فتهدأ للصلاة فسقط الإبريق من يد الجارية على وجهه فشجه فرفع علي بن الحسين رأسه إليها فقالت الجارية: إن الله عز وجل يقول: (والكاظمين الغيظ) فقال لها: قد كظمت غيظي. قالت: (والعافين عن الناس) فقال لها: قد عفا الله عنك. قالت: (والله يحب المحسنين) قال: اذهبي فأنت حرة" (1).

وروى آخرون هذه القصة عن ميمون بن مهران فقالوا: "وكان عند ميمون بن مهران ضيف فاستعجل على جاريته بالعشاء، فجاءت مسرعة ومعها قصعة مملوءة، فعثرت وأراقنتها على رأس سيدها ميمون. فقال: يا جارية أحرقتني. قالت: يا معلم الخير ومؤدب الناس، ارجع إلى ما قال الله تعالى. قال: وما قال الله تعالى؟ قالت: قال (والكاظمين الغيظ) قال: قد كظمت غيظي. قالت: (والعافين عن الناس). قال: قد عفوت عنك. قالت: زد فإن الله تعالى يقول: (والله يحب المحسنين). قال: أنت حرة لوجه الله تعالى" (2). وليس هنالك ما يمنع من تكرار القصة .

فما من خلق أسمح من هذه الأخلاق، ولا دين أكرم من الدين الذي يدعو إلى هذه المكرمات، التي تهنيئ عيش الإنسان بالسلام في حياته وبعد الممات. وفي هذا الباب أيضاً يروي السيوطي عن ابن عباس قال: "قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: ما من جرعة أحب إلى الله من جرعة غيظ يكظمها عبد، ما كظم عبد لله إلا ملأ الله جوفه إيماناً" (3). وفي حديث آخر أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: "من كظم غيظاً وهو قادر على أن ينفذه دعاه الله على رؤوس الخلائق حتى يخيره من أي الحور شاء" (4). أكتفي بهذا القدر من الكلمات القرآنية التي تجسد السماحة، والتي هي كثيرة في القرآن الكريم، نحو الإحسان، واليسر، ورفع الحرج... وانتقل إلى المبحث الثالث الذي أتحدث فيه عن أنواع التسامح؛

1- البيهقي، شعب الإيمان حديث رقم 8317 ج 6 ص 317، السيوطي، الدر المنثور ج 2 ص 317، الدمشقي، سلوة الكئيب بوفاة الحبيب ج 3 ص 220

2- الغزالي، إحياء علوم الدين ج 2 ص 220، النووي، التبيان في آداب حملة القرآن ج 2 ص 61، القرطبي، الجامع لأحكام القرآن ج 4 ص 207

3- السيوطي، الدر المنثور ج 2 ص 317

4- السيوطي، الدر المنثور ج 2 ص 317

المبحث الثالث: أنواع التسامح

بما أن الغاية من التسامح هي الحيلولة دون وجود الشحنة والبغضاء في المجتمعات، ونشر روح المحبة والمودة بين أفرادها، فإن الناس عادة ما يختلفون في الأمور المادية والعرقية والفكرية والدينية، وقد أصّل القرآن الكريم والسنة النبوية المشرفة أفضل أسس التسامح لكل نوع منها، ومن ذلك؛

1- **التسامح المادي:** بين الله سبحانه وتعالى أن الإنسان مجبول على حب الشهوات، فقال: (رُبُّنَ لِلنَّاسِ حُبُّ الشَّهَوَاتِ مِنَ النِّسَاءِ وَالْبَنِينَ وَالْقَنَاطِيرِ الْمُقَنْطَرَةِ مِنَ الذَّهَبِ وَالْفِضَّةِ وَالْخَيْلِ الْمُسَوَّمَةِ وَالْأَنْعَامِ وَالْحَرْثِ ذَلِكَ مَتَاعُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَاللَّهُ عِنْدَهُ حُسْنُ الْمَالِ) (آل عمران 14). ولم يدع الإنسان لنفسه أن تتحكم في شهواته، فقد جعل الله تعالى في مال الأغنياء حق للفقراء، وزيادة على ذلك جعل الإنفاق وسيلة لتكفير الذنوب، وهذا كله كي لا يكون المال دولة في أيدي فئة من الناس دون غيرهم، مما يؤدي إلى تجذّر البغضاء بين أفراد المجتمع. وفوق هذا الحق الواجب في مال الأغنياء، ندب الله سبحانه عباده على الإنفاق، وأوجب حبه للمحسنين الذين لا يجعلون للكرم حدوداً فقال سبحانه وتعالى: (وَأَنْفِقُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَلَا تُلْقُوا بِأَيْدِيكُمْ إِلَى التَّهْلُكَةِ وَأَحْسِنُوا إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ) (البقرة 195)، وقال جلّ من قائل: (الَّذِينَ يُنْفِقُونَ فِي السَّرَّاءِ وَالضَّرَّاءِ وَالْكَاطِمِينَ الْغَيْظِ وَالْعَافِينَ عَنِ النَّاسِ وَاللَّهُ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ) (آل عمران 134)، وقال سبحانه: (وَإِذَا حَضَرَ الْقِسْمَةَ أُولُو الْقُرْبَىٰ وَالْيَتَامَىٰ وَالْمَسَاكِينُ فَارْزُقُوهُمْ مِنْهُ وَقُولُوا لَهُمْ قَوْلًا مَعْرُوفًا) (النساء 8) وما من شك أن الفقير إذا ما أُعطي حاجته كان عنصراً فاعلاً في المجتمع، ولن يشعر إلا بالتقدير والمحبة لمن أحسن إليه .

2- **التسامح العرقي:** إذا كنا نشهد إلى هذا العصر أحداثاً من التمييز العرقي والعنصري بين بعض أفراد المجتمعات البعيدة عن أسس التسامح، فإن ديننا الحنيف جعل الناس سواسية كأسنان المشط لا فضل لأحد منهم على أحد إلا بالتقوى ؛ فقال صلى الله عليه وسلم: "إن الله لا ينظر إلى صوركم وأموالكم ولكن ينظر إلى قلوبكم وأعمالكم" (الروم 22) . بل جعل الله سبحانه وتعالى اختلاف الألسن والألوان آيات من آياته، وهي بذلك سواء فلا تقل عظمة آيته في خلق الأسود أسوداً عن خلق الأبيض قال سبحانه: (وَمِنْ آيَاتِهِ خَلْقُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَاخْتِلَافُ أَلْسِنَتِكُمْ وَأَلْوَانِكُمْ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِّلْعَالَمِينَ) (الروم 22)، وجعل الأفضلية في الإسلام للتقوى فقال سبحانه: (يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُمْ مِنْ ذَكَرٍ وَأُنْثَىٰ وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوبًا وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ) (الحجرات 13)

3- **التسامح الفكري:** ويتمثل ذلك في نشر الإنسان لأفكاره ومبادئه، فلا يجعل القوة واجتثاث الطرف المقابل وسيلة لبسط سيطرته ونفوذه، وإظهار أن الحق معه، بل لا بد أن يكون الحوار مبني على الرفق واللين في بيان البرهان والدليل، فإن امتنع الطرف الآخر عن الانضواء تحت مظلة الحق فليس للطرف الأول عليه من سلطان، يقول الله سبحانه وتعالى: (ادْعُ إِلَى سَبِيلِ رَبِّكَ بِالْحُكْمَةِ وَالْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ وَجَادِلْهُمْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعْلَمُ بِمَنْ ضَلَّ عَنْ سَبِيلِهِ وَهُوَ أَعْلَمُ بِالْمُهْتَدِينَ) (النحل 125)، ويقول سبحانه: (وَلَا تُجَادِلُوا أَهْلَ الْكِتَابِ إِلَّا بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ إِلَّا الَّذِينَ ظَلَمُوا مِنْهُمْ وَقُولُوا آمَنَّا بِالَّذِي أُنْزِلَ إِلَيْنَا

وَأُنْزِلَ إِلَيْكُمُ الْوَحْيُ وَالْهَيْكَلُ وَاجِدٌ وَنَحْنُ لَهُ مُسْلِمُونَ (العنكبوت 46) . وقال سبحانه مخاطبا نبيه موسى وهارون: (أَذْهَبَا إِلَىٰ فِرْعَوْنَ إِنَّهُ طَغَىٰ + فَقُولَا لَهُ قَوْلًا لَّيِّنًا لِّعَلَّهُ يَتَذَكَّرُ أَوْ يَخْشَىٰ) (طه 43-44)

4- **التسامح الديني:** هذا النوع من التسامح يتمثل بعدم إكراه الناس على الدخول في أي دين، وعلى المتدين إبراز ميزات دينه وترغيب الناس بدخوله دون أن أي نوع من أنواع الإكراه : يقول سبحانه وتعالى: (لَا إِكْرَاهَ فِي الدِّينِ قَدْ تَبَيَّنَ الرُّشْدُ مِنَ الْغَيِّ فَمَنْ يَكْفُرْ بِالطَّاغُوتِ وَيُؤْمِن بِاللَّهِ فَقَدْ اسْتَمْسَكَ بِالْعُرْوَةِ الْوُثْقَىٰ لَا انْفِصَامَ لَهَا وَاللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ) (البقرة 256) . و يقول سبحانه: (إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَالَّذِينَ هَادُوا وَالصَّابِئِينَ وَالنَّصَارَىٰ وَالْمَجُوسَ وَالَّذِينَ أَشْرَكُوا إِنَّ اللَّهَ يَفْصِلُ بَيْنَهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ إِنَّ اللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ) (الحج 17) . ويقول جل جلاله: (قُلْ يَا أَيُّهَا النَّاسُ قَدْ جَاءَكُمُ الْحَقُّ مِنْ رَبِّكُمْ فَمَنِ اهْتَدَىٰ فَإِنَّمَا يَهْتَدِي لِنَفْسِهِ وَمَنْ ضَلَّ فَإِنَّمَا يَضِلُّ عَلَيْهَا وَمَا أَنَا عَلَيْكُمْ بِوَكِيلٍ) (يونس 108)، ويقول سبحانه: (قُولُوا آمَنَّا بِاللَّهِ وَمَا أُنْزِلَ إِلَيْنَا وَمَا أُنْزِلَ إِلَىٰ إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ وَالْأَسْبَاطِ وَمَا أُوتِيَ مُوسَىٰ وَعِيسَىٰ وَمَا أُوتِيَ النَّبِيُّونَ مِنْ رَبِّهِمْ لَا نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِنْهُمْ وَنَحْنُ لَهُ مُسْلِمُونَ) (البقرة 136)، ﴿وَأُمِرْتُ لِأَعْدِلَ بَيْنَكُمُ اللَّهُ رَبُّنَا وَرَبُّكُم لَنَا أَعْمَالُنَا وَلَكُمْ أَعْمَالُكُمْ لَا حُجَّةَ بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمُ اللَّهُ يَجْمَعُ بَيْنَنَا وَإِلَيْهِ الْمَصِيرُ﴾ (الشورى 15) .

الفصل الثاني: صور من التسامح في القرآن الكريم

آيات الكتاب العزيز زاخرة بصور التسامح بكافة أنواعه، وسأتطرق فيما يأتي -بإذن الله تعالى- إلى بيان صور من التسامح الظاهر في قصص الأنبياء صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين؛

1- **آدم عليه الصلاة والسلام؛** قصته تظهر بصورة جليلة سعة رحمة الله سبحانه وتعالى وتسامحه عن المخطئ، ليكون ذلك منهجا لمن تبع دينه أن يتخلق بهذا الخلق العظيم؛ فإذا كانت السماحة تقضي بعدم العقاب عن الذنب مع القدرة عليه، فإن ذلك يظهر بأكمل صورة في هذه القصة؛ حيث أمر الله جل جلاله سيدنا آدم عليه السلام بأمر، لكنه عصاه فقال سبحانه: (وَقُلْنَا يَا آدَمُ اسْكُنْ أَنْتَ وَزَوْجُكَ الْجَنَّةَ وَكُلَا مِنْهَا رَغَدًا حَيْثُ شِئْتُمَا وَلَا تَقْرَبَا هَذِهِ الشَّجَرَةَ فَتَكُونَا مِنَ الظَّالِمِينَ) (البقرة 35)، وقال سبحانه: (فَوَسَّوَسَ لَهُمَا الشَّيْطَانُ لِيُبْدِيَ لَهُمَا مَا وُورِيَ عَنْهُمَا مِنْ سَوَاتِيهِمَا وَقَالَ مَا نَهَاكُمَا رَبُّكُمَا عَنْ هَذِهِ الشَّجَرَةِ إِلَّا أَنْ تَكُونَا مَلَكَتَيْنِ أَوْ تَكُونَا مِنَ الْخَالِدِينَ) (الأعراف 20). وقال جل جلاله: (فَأَكَلَا مِنْهَا فَبَدَتْ لَهُمَا سَوْآتُهُمَا وَطَفِقَا يَخْصِفَانِ عَلَيْهِمَا مِنْ وَرَقِ الْجَنَّةِ وَعَصَى آدَمُ رَبَّهُ فَغَوَى) (طه 121)، وقال سبحانه: (فَدَلَاهُمَا بِغُرُورٍ فَلَمَّا ذَاقَا الشَّجَرَةَ بَدَتْ لَهُمَا سَوْآتُهُمَا وَطَفِقَا يَخْصِفَانِ عَلَيْهِمَا مِنْ وَرَقِ الْجَنَّةِ وَنَادَاهُمَا رَبُّهُمَا أَلَمْ أَنْهَكُمَا عَنْ تِلْكَ الشَّجَرَةِ وَأَقُلْتُ لَكُمَا إِنَّ الشَّيْطَانَ لَكُمَا عَدُوٌّ مُبِينٌ) (الأعراف 22). إلا أن الله سبحانه وتعالى القدير على كل شيء لم يعاقب آدم عليه السلام بهذا الذنب وهذه المعصية، وإخراجه من الجنة ليس عقاب القدير على كل شيء، لأنه جعل له في الأرض مستقر ومتاع قال تعالى (قَالَ اهْبِطُوا بَعْضُكُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ وَلَكُمْ فِي الْأَرْضِ مُسْتَقَرٌّ وَمَتَاعٌ إِلَىٰ حِينٍ) (الأعراف 24)، ومن كرمه سبحانه أن علم آدم عليه السلام دعاء ليتوب وتجاب دعوته، فدعا به

آدم عليه السلام فتاب الله عليه، يقول جل جلاله: [فَتَلَقَّى آدَمُ مِنْ رَبِّهِ كَلِمَاتٍ فَتَابَ عَلَيْهِ إِنَّهُ هُوَ التَّوَّابُ الرَّحِيمُ] (البقرة 37). وفي هذه الآية الكريمة قراءتين على نحو ما أظهره أهل القراءات ومنهم ابن خالويه⁽¹⁾، وابن مجاهد⁽²⁾ فقال: "واختلفوا في قوله (فَتَلَقَّى آدَمُ مِنْ رَبِّهِ كَلِمَاتٍ) قرأ ابن كثير⁽³⁾ وحده: (فَتَلَقَّى آدَمُ مِنْ رَبِّهِ كَلِمَاتٍ) وقرأ الباقون: (فَتَلَقَّى آدَمُ مِنْ رَبِّهِ كَلِمَاتٍ)"⁽⁴⁾. ومعنى قراءة ابن كثير أن الكلمات هي التي جاءت إلى سيدنا آدم.

وكرم الله سبحانه وتعالى ما بعده كرم فهو لا يتجاوز عن السيئات فحسب بل يبذلها إلى حسنات، قال تعالى: (إِلَّا مَنْ تَابَ وَآمَنَ وَعَمِلَ عَمَلًا صَالِحًا فَأُولَئِكَ يُبَدِّلُ اللَّهُ سَيِّئَاتِهِمْ حَسَنَاتٍ وَكَانَ اللَّهُ غَفُورًا رَحِيمًا) (الفرقان 70) وهذه أعظم صور الرحمة والسماحة.

2- ابني آدم: وتتجلى السماحة في تعامل أحدهما مع شقيقه بعد أن قدم قربانا إلى الله فتقبل منه ولم يتقبل من أخيه، فأراد أخوه أن يقتله وكان مصرًا على ذلك، ومع هذا كله ما كان من أخيه إلى أن امتنع عن رد الإساءة، وقال لأخيه ستحمل بذلك ذنبا عظيما إما ذنب قتلي وإما ستحمل ذنبي إن أنت قتلتني بغير حق⁽⁵⁾، فلم يرد العين بالعين ولم يدافع عن نفسه مع علمه بأن أخوه حريص على قتله وهذا من أعظم أوجه السماحة، ومن رحمة الله بالمقتول أن بعث الله تعالى غرابا ليري القاتل كيف يدفن سوءة أخيه؛ يقول الله تعالى: (وَأْتَلُ عَلَيْهِمْ نَبَأَ ابْنَيْ آدَمَ بِالْحَقِّ إِذْ قَرَّبَا قُرْبَانًا فَتُقْبِلَ مِنْ أَحَدِهِمَا وَلَمْ يُتَقَبَّلْ مِنَ الْآخَرِ قَالَ لَأَقْتُلَنَّكَ قَالَ إِنَّمَا يَتَقَبَّلُ اللَّهُ مِنَ الْمُتَّقِينَ + لئن بَسَطْتَ إِلَيَّ يَدَكَ لِتَقْتُلَنِي مَا أَنَا بِبَاسٍ يَدِي إِلَيْكَ لِأَقْتُلَنَّكَ إِنَّي أَخَافُ اللَّهَ رَبَّ الْعَالَمِينَ + إِنِّي أُرِيدُ أَنْ تَبُوءَ بِإِثْمِي وَإِثْمِكَ فَتَكُونَ مِنْ أَصْحَابِ النَّارِ وَذَلِكَ جَزَاءُ الظَّالِمِينَ + فَطَوَّعَتْ لَهُ نَفْسُهُ قَتْلَ أَخِيهِ فَقَتَلَهُ فَأَصْبَحَ مِنَ الْخَاسِرِينَ + فَبَعَثَ اللَّهُ غُرَابًا يَبْحَثُ فِي الْأَرْضِ لِيُرِيَهُ كَيْفَ يُؤَارِي سَوْءَةَ أَخِيهِ قَالَ يَا وَيْلَتَى أَعَجَزْتُ أَنْ أَكُونَ مِثْلَ هَذَا الْغُرَابِ فَأُوَارِيَ سَوْءَةَ أَخِي فَأَصْبَحَ مِنَ النَّادِمِينَ) (المائدة 27-31) .

3- إبراهيم عليه الصلاة والسلام: إن سماحة سيدنا إبراهيم عليه وعلى نبينا أفضل الصلاة وأتم التسليم صورة من أعظم صور التسامح، وقد أثنى الله سبحانه وتعالى عليه بصفات هي من أعظم صفات التسامح، والتي هي من صفاته سبحانه وتعالى فقال: (وَاللَّهُ غَفُورٌ حَلِيمٌ) (البقرة 225)، وقال ثناء على سيدنا إبراهيم:

1- ابن خالويه الحسين بن أحمد بن خالويه أبو عبد الله النحوي اللغوي صاحب المصنفات أصله من همدان ثم دخل بغداد فأدرك بها مشايخ هذا الشأن كابن دريد وابن مجاهد وأبي عمر الزاهد واشتغل على أبي سعيد السيرافي ثم صار إلى حلب فعظمت مكانته عند آل حمدان وكان سيف الدولة يكرمه وهو أحد جلسائه وله مع المتنبي مناظرات وقد سرد له ابن خلكان مصنفات كثيرة منها كتاب ليس في كلام العرب وكان به داء كانت به وفاته عام 370هـ . ابن كثير. البداية والنهاية ج 11 ص 297

2- ابن مجاهد الإمام المقرئ المحدث النحوي شيخ المقرئين أبو بكر أحمد بن موسى بن العباس بن مجاهد البغدادي مصنف كتاب السبعة ولد سنة خمس وأربعين ومئتين أخذ الحروف عرضا عن طائفة وانتهى إليه علم هذا الشأن وتصدر مدة وقرأ عليه خلق و كان ابن مجاهد صاحب لطف وظرف يجيد معرفة الموسيقى وكان في حلقته من الذين يأخذون على الناس أربعة وثمانون مقروئا توفي في شعبان سنة أربع وعشرين وثلاث مئة الذهبي. سير أعلام النبلاء ج 15 ص 272- 273

3- عبد الله بن كثير بن عمرو بن عبد الله بن زاذان بن فيروزان بن هرمز الإمام العلم مقرئ مكة وأحد القراء السبعة أبو معبد الكنانى الداري المكي مولى عمرو ابن علقمة الكنانى وثقه النسائي وعاش خمسا وسبعين سنة ولد بمكة سنة 48 مات سنة عشرين ومائة. ابن خلكان. وفيات الأعيان وأنباء الزمان ج 2 ص 41 و ينظر الذهبي. سير أعلام النبلاء ج 5 ص 318-319

4- ابن مجاهد. السبعة في القراءات ج 1 ص 154 ، وينظر ابن خالويه. الحجة في القراءات السبع ج 1 ص 75

5- الكلبى. التسهيل لعلوم التنزيل ج 1 ص 174

(إِنَّ إِبْرَاهِيمَ لِأَوْاهٍ حَلِيمٌ) (التوبة 114)، (إِنَّ إِبْرَاهِيمَ كَانَ أُمَّةً قَانِتًا لِلَّهِ حَنِيفًا وَلَمْ يَكُ مِنَ الْمُشْرِكِينَ) (النحل 120) . فبعد أن آتاه الله النبوة والرشد، دعا قومه وأباه إلى نبذ عبادة الأصنام، وتوحيد الله سبحانه وتعالى، لكنه لم يجد منهم أي رشيد إلا سيدنا لوط، وتوعده بالرجم والقتل والإقصاء إن لم يرجع عن قوله، فمكر بأصنامهم فما كان منهم إلا أن أعدوا العدة لحرقه وفي ذلك يقول تعالى:

(وَإِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ لِأَبِيهِ آزَرَ أَتَتَّخِذُ أَصْنَامًا آلِهَةً إِنِّي أَرَاكَ وَقَوْمَكَ فِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ) (الأنعام 74)، وقال سبحانه: (إِذْ قَالَ لِأَبِيهِ يَا أَبَتِ لِمَ تَعْبُدُ مَا لَا يَسْمَعُ وَلَا يُبْصِرُ وَلَا يُغْنِي عَنْكَ شَيْئًا) (مريم 42) (يَا أَبَتِ إِنِّي أَخَافُ أَنْ يَمَسَّكَ عَذَابٌ مِنَ الرَّحْمَنِ فَتَكُونَ لِلشَّيْطَانِ وَلِيًّا) + قَالَ أَرَأَيْتَ أَنْتَ عَنْ آلِهَتِي يَا إِبْرَاهِيمُ لَنْ لَمْ تَنْتَهِ لِأَرْجُمَنَّكَ وَاهْجُرْنِي مَلِيًّا) (مريم 45-46) ، وقال سبحانه: (وَلَقَدْ آتَيْنَا إِبْرَاهِيمَ رُشْدَهُ مِنْ قَبْلُ وَكُنَّا بِهِ عَالِمِينَ) + إِذْ قَالَ لِأَبِيهِ وَقَوْمِهِ مَا هَذِهِ التَّمَاثِيلُ الَّتِي أَنْتُمْ لَهَا عَاكِفُونَ + قَالُوا وَجَدْنَا آبَاءَنَا لَهَا عَابِدِينَ + قَالَ لَقَدْ كُنْتُمْ أَنْتُمْ وَآبَاؤُكُمْ فِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ + قَالُوا أَجِئْتَنَا بِالْحَقِّ أَمْ أَنْتَ مِنَ اللَّاعِبِينَ + قَالَ بَلْ رَبُّكُمْ رَبُّ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ الَّذِي فَطَرَهُنَّ وَأَنَا عَلَىٰ ذَلِكُمْ مِنَ الشَّاهِدِينَ + وَتَاللَّهِ لَأَكِيدَنَّ أَصْنَامَكُمْ بَعْدَ أَنْ تُوَلُّوا مُدْبِرِينَ + فَجَعَلَهُمْ جَذَازًا إِلَّا كَبِيرًا لَهُمْ لَعَلَّهُمْ إِلَيْهِ يَرْجِعُونَ) (الأنبياء 51-58) (قَالُوا حَرِّقُوهُ وَانصُرُوا آلِهَتَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ فَاعِلِينَ + قُلْنَا يَا نَارُ كُونِي بَرْدًا وَسَلَامًا عَلَىٰ إِبْرَاهِيمَ + وَأَزَادُوا بِهِ كَيْدًا فَجَعَلْنَاهُمُ الْأَخْسَرِينَ + وَنَجَّيْنَاهُ وَلُوطًا إِلَى الْأَرْضِ الَّتِي بَارَكْنَا فِيهَا لِلْعَالَمِينَ) (الأنبياء 68-71) . فبعد أن أقام الحجة على قومه لم يتبعوه، وما كان منهم إلا أن أعدوا له أشد وأبشع أنواع الإيذاء حيث ألقوه في النار، ومع شهادتهم الحية لحفظ الله له وخروجه من النار سالما، إلا أنهم أخرجوه من ديارهم . وهنا تتجلى سماحة سيدنا إبراهيم عليه وعلى نبينا أتم الصلاة والتسليم حيث قال لأبيه -الذي عاداه كما عاداه قومه- : (قَالَ سَلَامٌ عَلَيْكَ سَأَسْتَغْفِرُ لَكَ رَبِّي إِنَّهُ كَانَ بِي حَفِيًّا + وَأَعْتَرْتُكُمْ وَمَا تَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ وَأَدْعُو رَبِّي عَسَىٰ أَلَّا أَكُونَ بِدُعَاءِ رَبِّي شَقِيًّا) (مريم 48) . فأن يسأل الله سبحانه وتعالى غفرانه لأبيه مع أنه كان مع الذين ألقوه في النار لهو من أعظم صور السماحة على الإطلاق. ولا تنتفي سماحة سيدنا إبراهيم بالآية الآتية: (وَمَا كَانَ اسْتِغْفَارُ إِبْرَاهِيمَ لِأَبِيهِ إِلَّا عَنْ مَوْعِدَةٍ وَعَدَهَا إِيَّاهُ فَلَمَّا تَبَيَّنَ لَهُ أَنَّهُ عَدُوٌّ لِلَّهِ تَبَرَّأَ مِنْهُ إِنَّ إِبْرَاهِيمَ لِأَوْاهٍ حَلِيمٌ) (التوبة 114). بل على العكس من ذلك تظهر سماحته أيضا في صورة أخرى لا مع بشر بل مع ملائكة الله المبعوثين لعذاب الظالمين، يقول الله سبحانه وتعالى: (وَلُوطًا آتَيْنَاهُ حُكْمًا وَعِلْمًا وَنَجَّيْنَاهُ مِنَ الْقَرْيَةِ الَّتِي كَانَتْ تَعْمَلُ الْخَبَائِثَ إِنَّهُمْ كَانُوا قَوْمَ سَوْءٍ فَاسِقِينَ) (الأنبياء 74) ويقول جل جلاله: (وَلَقَدْ جَاءَتْ رُسُلُنَا إِبْرَاهِيمَ بِالْبُشْرَىٰ قَالُوا سَلَامًا قَالَ سَلَامٌ فَمَا لَبِثَ أَنْ جَاءَ بِعِجْلٍ حَنِيفٍ) (هود 69)، (فَلَمَّا ذَهَبَ عَنْ إِبْرَاهِيمَ الرَّوْعُ وَجَاءَتْهُ الْبُشْرَىٰ يُجَادِلُنَا فِي قَوْمِ لُوطٍ + إِنَّ إِبْرَاهِيمَ لَحَلِيمٌ أَوَّاهٌ مُنِيبٌ + يَا إِبْرَاهِيمُ أُعْرِضْ عَنْ هَذَا إِنَّهُ قَدْ جَاءَ أَمْرُ رَبِّكَ وَإِنَّهُمْ آتِيهِمْ عَذَابٌ غَيْرُ مَرْدُودٍ) (هود 74-76) ، ولا يخفى فعل قوم لوط على أحد، فهذه الملائكة جاءت منفذة أمر الله سبحانه وتعالى ، لكن سيدنا إبراهيم الخليل كان سمحا بالناس حريصا عليهم لا يفقد الأمل أن يهديهم الله ، فيجادل الملائكة في تأجيل العذاب أو دفعه ، وهذه من أعظم صور السماحة والرحمة ، فلا غرب أن يتخذ الله جل جلاله سيدنا إبراهيم خليلا. قال جل جلاله: (وَمَنْ أَحْسَنُ دِينًا مِمَّنْ أَسْلَمَ وَجْهَهُ لِلَّهِ وَهُوَ مُحْسِنٌ وَاتَّبَعَ مِلَّةَ إِبْرَاهِيمَ حَنِيفًا وَاتَّخَذَ اللَّهُ إِبْرَاهِيمَ خَلِيلًا) (النساء 125).

4- يوسف عليه الصلاة والسلام :

ففي هذه القصة تتجلى أرفع صور السماحة والعفو عند المقدرة ؛ فبعد أن أكرم الله سبحانه وتعالى سيدنا يوسف عليه وعلى نبينا أفضل الصلاة والسلام بالرؤية التي قصّها لأبيه، مكر به إخوته، وأرادوا أن يقتلوه، وتوحدت كلمتهم على رميه في بئر، ثم التقطه سيارة، وعاش بعد ذلك مملوكا، وهذا قد يكون سببا كافيا لمن لا يتحلى بصفات السماحة إن أوتي القوة والقدرة أن يعيد لهم الصاع صاعين ، ويقتصص منهم، إلا أن ذلك كله لم يغير في نفسية سيدنا يوسف عليه الصلاة والسلام بل على العكس من ذلك فبعد أن تولى السلطة وجاء إخوته يسألوه ميرة أحسن إليهم مع إساءتهم له مجددا حيث اتهموه بالسرقة وجاء بأهله جميعا إلى مصر ليكرمهم وحمد الله أن جاء بهم ليتمكن من إكرامهم جميعا، وما كان من إخوته حين رأوا هذه السماحة والكرم إلا أن رجعوا عن خطئهم واستغفروا ربهم، يقول تعالى: (إِذْ قَالَ يُوسُفُ لِأَبِيهِ يَا أَبَتِ إِنِّي رَأَيْتُ أَحَدَ عَشَرَ كَوْكَبًا وَالشَّمْسَ وَالْقَمَرَ رَأَيْتُهُمْ لِي سَاجِدِينَ) (يوسف 4) (اقْتُلُوا يُوسُفَ أَوْ اطْرَحُوهُ أَرْضًا يَخْلُ لَكُمْ وَجْهُ أَبِيكُمْ وَتَكُونُوا مِنْ بَعْدِهِ قَوْمًا صَالِحِينَ + قَالَ قَائِلٌ مِنْهُمْ لَا تَقْتُلُوا يُوسُفَ وَالْقَوْهَ فِي غِيَابَتِ الْجُبِّ يَلْتَقِطُهُ بَعْضُ السَّيَّارَةِ إِنْ كُنْتُمْ فَاعِلِينَ + قَالُوا يَا أَبَانَا مَا لَكَ لَا تَأْمَنَّا عَلَى يُوسُفَ وَإِنَّا لَهُ لَنَاصِحُونَ) (يوسف 9-11) (فَلَمَّا ذَهَبُوا بِهِ وَاجْتَمَعُوا أَن يُجْعَلُوهُ فِي غِيَابَتِ الْجُبِّ وَأَوْحَيْنَا إِلَيْهِ لَتُنَبِّئَنَّهُمْ بِأَمْرِهِمْ هَذَا وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ) (يوسف 15) (قَالُوا يَا أَبَانَا إِنَّا ذَهَبْنَا نَسْتَبِقُ وَتَرَكْنَا يُوسُفَ عِنْدَ مَتَاعِنَا فَأَكَلَهُ الذِّئْبُ وَمَا أَنْتَ بِمُؤْمِنٍ لَنَا وَلَوْ كُنَّا صَادِقِينَ) (يوسف 17) (وَجَاءَ إِخْوَةُ يُوسُفَ فَدَخَلُوا عَلَيْهِ فَعَرَفَهُمْ وَهُمْ لَهُ مُنْكَرُونَ) (يوسف 58) (وَلَمَّا دَخَلُوا عَلَى يُوسُفَ آوَى إِلَيْهِ أَخَاهُ قَالَ إِنِّي أَنَا أَخُوكَ فَلَا تَبْتَئِسْ بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ) (يوسف 69) (قَالُوا إِنْ يَسْرِقْ فَقَدْ سَرَقَ أَخٌ لَهُ مِنْ قَبْلُ فَأَسْرَهَا يُوسُفُ فِي نَفْسِهِ وَلَمْ يُبْدِهَا لَهُمْ قَالَ أَنْتُمْ شَرٌّ مَكَانًا وَاللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا تَصِفُونَ) (يوسف 77) (قَالُوا أَلَيْكَ لَأَنْتَ يُوسُفُ قَالَ أَنَا يُوسُفُ وَهَذَا أَخِي قَدْ مَنَّ اللَّهُ عَلَيْنَا إِنَّهُ مَنْ يَتَّقِ وَيَصْبِرْ فَإِنَّ اللَّهَ لَا يُضِيعُ أَجْرَ الْمُحْسِنِينَ) (يوسف 90) (قَالَ لَا تَثْرِبَ عَلَيْكُمُ الْيَوْمَ يَعْفُورُ اللَّهُ لَكُمْ وَهُوَ أَرْحَمُ الرَّاحِمِينَ) (يوسف 92) (وَلَمَّا فَصَلَتِ الْعِيرُ قَالَ أَبُوهُمْ إِنِّي لَأَجِدُ رِيحَ يُوسُفَ لَوْلَا أَنْ تُفَنِّدُونِ) (يوسف 94) (قَالُوا يَا أَبَانَا اسْتَغْفِرْ لَنَا ذُنُوبَنَا إِنَّا كُنَّا خَاطِئِينَ) (يوسف 97) (قَالَ سَوْفَ أَسْتَغْفِرُ لَكُمْ رَبِّي إِنَّهُ هُوَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ) (يوسف 98) (فَلَمَّا دَخَلُوا عَلَى يُوسُفَ آوَى إِلَيْهِ أَبَوَيْهِ وَقَالَ ادْخُلُوا مِصْرَ إِنْ شَاءَ اللَّهُ آمِنِينَ + وَرَفَعَ أَبَوَيْهِ عَلَى الْعَرْشِ وَخَرُّوا لَهُ سُجْدًا وَقَالَ يَا أَبَتِ هَذَا تَأْوِيلُ رُؤْيَايَ مِنْ قَبْلُ قَدْ جَعَلَهَا رَبِّي حَقًّا وَقَدْ أَحْسَنَ بِي إِذْ أَخْرَجَنِي مِنَ السِّجْنِ وَجَاءَ بِكُم مِّنَ الْبَدْوِ مِنْ بَعْدِ أَنْ نَزَغَ الشَّيْطَانُ بَيْنِي وَبَيْنَ إِخْوَتِي إِنَّ رَبِّي لَطِيفٌ لِّمَا يَشَاءُ إِنَّهُ هُوَ الْعَلِيمُ الْحَكِيمُ) (يوسف 99-100) .

5- محمد صلى الله عليه وسلم : إن حياة النبي صلى الله عليه وسلم لهي جميعها صور منقطعة

النظير في السماحة -وفق ما تظهره السيرة النبوية-، بما لا يمكن لهذا البحث أن يستوفيهها، ومن ذلك رحمته وتسامحه مع قومه حين بعث الله له ملك الجبال كي يخسف بهم إن أمره النبي بذلك، إلا أن النبي صلى الله عليه وسلم أبى لهم إلا الخير عسى أن يخرج الله من ذريتهم من يؤمن بالله⁽¹⁾ ، والآيات الكريمة التي تظهر

التسامح في دعوة النبي صلى الله عليه وسلم كثيرة منها ما ذكرته عند حديثي عن الكلمات القرآنية التي تدل على التسامح، ومن ذلك أيضا ؛

قوله الله تعالى: (وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا رَحْمَةً لِّلْعَالَمِينَ) (الأنبياء 107)، (لَقَدْ جَاءَكُمْ رَسُولٌ مِّنْ أَنفُسِكُمْ عَزِيزٌ عَلَيْهِ مَا عَنِتُّمْ حَرِيصٌ عَلَيْكُمْ بِالْمُؤْمِنِينَ رَؤُوفٌ رَّحِيمٌ) (التوبة 128) (فَبِمَا رَحْمَةٍ مِّنَ اللَّهِ لَئِن لَّهٗم وَلَوْ كُنْتَ فَظًا غَلِيظَ الْقَلْبِ لَانفَضُّوا مِنْ حَوْلِكَ فَاعْفُ عَنْهُمْ وَاسْتَغْفِرْ لَهُمْ) (آل عمران 159)، (وَعِبَادُ الرَّحْمَنِ الَّذِينَ يَمْشُونَ عَلَى الْأَرْضِ هَوْنًا وَإِذَا خَاطَبَهُمُ الْجَاهِلُونَ قَالُوا سَلَامًا) (الفرقان 63)، (وَقُلْ لِعِبَادِيَ يَقُولُوا الَّتِي هِيَ أَحْسَنُ إِنَّ الشَّيْطَانَ يَنزِعُ بَيْنَهُمْ إِنَّ الشَّيْطَانَ كَانَ لِلْإِنْسَانِ عَدُوًّا مُّبِينًا) (الإسراء 53)، (وَلَا تَسْتَوِي الْحَسَنَةُ وَلَا السَّيِّئَةُ ادْفَعْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ فَإِذَا الَّذِي بَيْنَكَ وَبَيْنَهُ عَدَاوَةٌ كَأَنَّهُ وَلِيٌّ حَمِيمٌ) (فصلت 34)، (إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ فَأَصْلَحُوا بَيْنَ أَخَوِيكُمْ وَأَتُوا اللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ) (الحجرات 10)، (وَإِنْ عَاقَبْتُمْ فَعَاقِبُوا بِمِثْلِ مَا عُوقِبْتُمْ بِهِ وَلَئِنْ صَبَرْتُمْ لَهُوَ خَيْرٌ لِّلصَّابِرِينَ) (النحل 126)، (أُولَئِكَ يُؤْتَوْنَ أَجْرُهُمْ مَّرَّتَيْنِ بِمَا صَبَرُوا وَيَدْرُوْنَ بِالْحَسَنَةِ السَّيِّئَةِ وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنفِقُونَ) (القصص 54)، (أُولَئِكَ يُجْزَوْنَ الْغُرْفَةَ بِمَا صَبَرُوا وَيُلَقَّوْنَ فِيهَا تَحِيَّةً وَسَلَامًا) (الفرقان 75)، (ادْعُ إِلَى سَبِيلِ رَبِّكَ بِالْحُكْمَةِ وَالْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ وَجَادِلْهُمْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعْلَمُ بِمَنْ ضَلَّ عَنْ سَبِيلِهِ وَهُوَ أَعْلَمُ بِالْمُهْتَدِينَ) (النحل 125)، (وَإِظْهَارًا لِحُرُصِ النَّبِيِّ عَلَى هِدَايَةِ النَّاسِ جَمِيعًا يَقُولُ تَعَالَى: (أَفَمَنْ زُيِّنَ لَهُ سُوءُ عَمَلِهِ فَرَاهُ حَسَنًا فَإِنَّ اللَّهَ يُضِلُّ مَنْ يَشَاءُ وَيَهْدِي مَنْ يَشَاءُ فَلَا تَذْهَبْ نَفْسُكَ عَلَيْهِمْ حَسْرَاتٍ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ بِمَا يَصْنَعُونَ) (فاطر 8)

الفصل الثالث: التسامح أهميته وعواقب تركه

لما خلق الله سبحانه وتعالى البشر أودع في كل واحد منهم صبغة يميزه بها عن الآخرين، ولهذا اختلفت أفكارهم ومذاهبهم وقدراتهم الفكرية والعقلية، فمنهم العالم ومنهم المبدع ومنهم المفكر ومنهم الرياضي ومنهم العامل، وهذا التنوع كله لتحقيق خلافة الإنسان في الأرض، قال تعالى: (وَهُوَ الَّذِي جَعَلَكُمْ خَلَائِفَ الْأَرْضِ وَرَفَعَ بَعْضَكُمْ فَوْقَ بَعْضٍ دَرَجَاتٍ لِّيَبْلُوكُمْ فِي مَا آتَاكُمْ إِنَّ رَبَّكَ سَرِيعُ الْعِقَابِ وَإِنَّهُ لَغَفُورٌ رَّحِيمٌ) (الأنعام 165)

(أَهُمْ يَقْسِمُونَ رَحْمَتَ رَبِّكَ نَحْنُ قَسَمْنَا بَيْنَهُمْ مَعِيشَتَهُمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَرَفَعْنَا بَعْضَهُمْ فَوْقَ بَعْضٍ دَرَجَاتٍ لِّيَتَّخِذَ بَعْضُهُمْ بَعْضًا سُلْحِيًّا وَرَحْمَتُ رَبِّكَ خَيْرٌ مِّمَّا يَجْمَعُونَ) (الزخرف 32)، وهذا التنوع في أنفس البشر إما أن يكون عنصرا فاعلا في عمارة الكون-فالطبيب في مجال عمله والصانع في مجال عمله والأديب في مجاله والمزارع في مجاله، بهم جميعا تتحقق عمارة الإنسان لهذه الأرض-، أو يكون عنصرا هداما لكل ما أنتجته أيدي البشرية، لذلك أنزل الله سبحانه وتعالى الشرائع لتحديد حقوق الفرد وواجباته تجاه ربه وتجاه الخلق أجمعين: (وَلَوْ شَاءَ رَبُّكَ لَجَعَلَ النَّاسَ أُمَّةً وَاحِدَةً وَلَا يَرَالُونَ مُخْتَلِفِينَ+ إِلَّا مَنْ رَّحِمَ رَبُّكَ وَلِذَلِكَ خَلَقَهُمْ وَتَمَّتْ كَلِمَةُ رَبِّكَ لَأَمْلَأَنَّ جَهَنَّمَ مِنَ الْجِنَّةِ وَالنَّاسِ أَجْمَعِينَ) (هود 118-119). وبين الله سبحانه وتعالى للبشر أنهم يرجعون إلى أصل واحد، وتنوعهم يكون لتعارفهم على الخير وتساعدتهم فيما بينهم قال تعالى: (يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُمْ مِنْ ذَكَرٍ وَأُنْثَى وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوبًا وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ) (الحجرات 13)، فالذين لا يحتكمون إلى شريعة سيكون الطبع الغالب على أنفسهم حب الذات وبسط النفوذ

والسيطرة وتغليب المصالح الشخصية على الآخرين وهذا ما وصفت به الملائكة بني آدم قال تعالى: (وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَائِكَةِ إِنِّي جَاعِلٌ فِي الْأَرْضِ خَلِيفَةً قَالُوا أَتَجْعَلُ فِيهَا مَنْ يُفْسِدُ فِيهَا وَيَسْفِكُ الدِّمَاءَ وَنَحْنُ نُسَبِّحُ بِحَمْدِكَ وَنُقَدِّسُ لَكَ قَالَ إِنِّي أَعْلَمُ مَا لَا تَعْلَمُونَ) ، إلا أن الله سبحانه وتعالى لم يترك البشرية لتتصرف على هواها فأرسل رسله مبشرين ومنذرين، ليهذبوا أخلاق البشر، ولم يأمر الرسل أن يبتعدوا عن أشرار الناس بل أمرهم أن يعايشوهم ويضربوا لهم أعلى الدرجات في السماحة والكرم ليكونوا قدوة للآخرين، قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: "الْمُؤْمِنُ الَّذِي يُخَالِطُ النَّاسَ وَيَصْبِرُ عَلَى أَذَاهُمْ أَعْظَمُ أَجْراً مِنَ الْمُؤْمِنِ الَّذِي لَا يُخَالِطُ النَّاسَ وَلَا يَصْبِرُ عَلَى أَذَاهُمْ"⁽¹⁾، فإذا ما ساد خلق التسامح بين البشر فإن هذا الخلق السامي لا يعرف الأنانية أو إخضاع الغير أو الرغبة الجامحة في تملك كل شيء أو قهر الغير وبسط النفوذ أو إقصاء المخالف ، بل يدفع صاحبه ليرتقي أعلا مراتب الأخلاق ويتجرد في كل أحواله من الأنانية البغيضة إلى كرم العطاء والرفق وحسن التعامل الذي يجعله ينظر إلى الآخر نظرة مودة وألفة واحترام وحرص على مصلحته، وهذا ما يحقق السعادة للطرفين، وما أطيب وألذ السعادة التي يحل بنعيمها كلا الطرفين ، وما أبلغ عبارة جبرالد ج. جامبولسكي: "التسامح هو أن تري نور الله في كل من حولك مهما يكن سلوكهم معك"⁽²⁾ . فالإنسان السعيد من يعيش في هذا الحياة ويهو يرقب الله سبحانه وتعالى في كل سكرة تسكنها نفسه أو حركة تجترحها جوارحه ، فلا يرى إلى كرم الله عليه، ولن يعامل الناس إلا بالمحبة والسماحة والأخلاق التي يحبها الله ويرضاها ، وهذا ما ظهر جليا في صور السماحة التي ضربتها سابقا، وبلغ منها ما نجده من سماحة هذا الرجل الذي حاول أن يعيد لقومه رشدهم الذي فارقهم، إلا أنهم قتلوه، وبعد أن تغمدته الله برحمته تمنى أن يعلم قومه ما حلّ به من كرم الله وجوده بعد موته كي يرجعوا إلى صوابهم قال تعالى: (وَجَاءَ مِنْ أَقْصَى الْمَدِينَةِ رَجُلٌ يَسْعَى قَالَ يَا قَوْمِ اتَّبِعُوا الْمُرْسَلِينَ+اتَّبِعُوا مَنْ لَا يَسْأَلُكُمْ أَجْراً وَهُمْ مُهْتَدُونَ..قِيلَ ادْخُلِ الْجَنَّةَ قَالَ يَا لَيْتَ قَوْمِي يَعْلَمُونَ+بِمَا غَفَرَ لِي رَبِّي وَجَعَلَنِي مِنَ الْمُكْرَمِينَ)(يس 20-27) وبهذا تتحقق خلافة الإنسان وعمارته لهذا الكوب بأفضل وأكمل الوجوه . أما إذا ما انتفى هذا الخلق بين الناس سادت بينهم العداوة والبغضاء وتجردوا من كل قيم ومبادئ فيأكل القوي منهم الضعيف ولا يسمع لقول ناصح وتسود الفاحشة والظلم، وهذا ما يستدعي عقاب الله واجتثاث هذا الظلم من الأرض على ما ظهر في القصص السابقة وما هو واضح في قصة نبي الله لوط عليه الصلاة والسلام؛ قال تعالى: (قَالُوا لَئِنْ لَمْ تَنْتَهِ يَا لُوطُ لَتَكُونَنَّ مِنَ الْمُخْرَجِينَ)(الشعراء 167) (فَمَا كَانَ جَوَابَ قَوْمِهِ إِلَّا أَنْ قَالُوا أَخْرِجُوا آلَ لُوطٍ مِنْ قَرْيَتِكُمْ إِنَّهُمْ أَنْاسٌ يَبْتَطِهُرُونَ)(النمل 56) (إِنَّا أَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ حَاصِباً إِلَّا آلَ لُوطٍ نَجَّيْنَاهُمْ بِسَحَرٍ)(القمر 34)

1- القزويني. سنن ابن ماجه حديث رقم 4032 ج 5 ص 499

2- جبرالد ج. جامبولسكي، التسامح أعظم علاج علي الإطلاق، مكتبة مبارك العامة ص4

الخاتمة

الحمد لله الذي تتم بفضل الصالحات والصلاة والسلام على سيد السادات محمد وعلى آله وصحبه أجمعين ، ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين .

من أهم النتائج التي توصلت لها في هذا البحث ما يأتي:

- بيّن النبي صلى الله عليه وسلم الذي آتاه الله جل جلاله جوامع الكلم أن أفضل العمل إنما يتمثل بالسماحة والصبر، وهذا هو أساس الدين الإسلامي الحنيف، وأساس جميع الديانات السماوية.
- ظاهر للجميع أن القرآن الكريم لم ترد فيه كلمة السماحة صراحة، حتى على مستوى الجذر، لكن قد اشتمل على العديد من الأخلاق التي تحوي في طياتها معاني السماحة النظرية، وتطبيقاتها العملية، نحو الصبر، والمغفرة والعفو والصفح وكظم الغيظ .
- لم يترك القرآن الكريم بابا من أبواب التسامح العملي إلا فتحه على مصراعيه، وعالج أي أمر قد يؤدي إلى عدم التسامح، بأفضل الوسائل والأساليب
- في قصص الأنبياء الكرام تطبيق عملي للتسامح، إذ حياتهم كلها تجسد هذه المعاني الكريمة
- بالتسامح يتعايش الناس وتتحقق خلافتهم في الأرض، وبعدم التسامح تتحول الحياة إلى جحيم لا تطاق ؛ فتنتهك الحقوق ، وتصادر الحريات ، ويتفشى الفساد والجهل .

وأخيرا أتوجه بالشكر الجزيل لكل من يلتزم بالتطبيق العملي لأخلاق التسامح في هذا الوقت العصيب الذي بدأ الناس يتجردون فيه من أدب الأخلاق والسماحة فدبّت الفرقة بين الأفراد والشعوب واستبيحت الحرمات، ونحن أحوج ما يكون لمن يعيد للناس صوابهم، ويأخذ بأيديهم إلى جادة الطريق، وأوصي القائمين على وزارات التربية والتعليم والجامعات قاطبة أن يبذلوا قصارى جهدهم لإدراج موضوعات كرم الأخلاق والسماحة في المناهج الدراسية خصوصا في الصفوف الابتدائية، لزرع بذور السماحة والتسامح وفضائل الأخلاق في الأجيال القادمة، عسى أن يتعايشوا بحال أفضل مما نراه اليوم، فلا نسمع قتلا على الهوية ، أو إقصاء لمذهب معين، أو تجبرا لفكر معين أو انتهاكا لحقوق أي إنسان.

سائلا الله تعالى السداد والتوفيق

قائمة المصادر والمراجع

1. القرآن الكريم
2. ابن خالويه. الحسين بن أحمد أبو عبد الله (314-370هـ)، الحجة في القراءات السبع، تحقيق د. عبد العال سالم مكرم دار الشروق بيروت 1401هـ الطبعة الرابعة
3. ابن خلكان. أبو العباس شمس الدين أحمد بن محمد بن أبي بكر (608-681 هـ) وفيات الأعيان وأنباء الزمان تحقيق د.إحسان عباس، دار الثقافة، بيروت، 1968 .
4. ابن سيده، المحكم والمحيط الأعظم ، المكتبة الشاملة
5. ابن فارس. أبو الحسين أحمد بن زكريّا، مقاييس اللغة، تحقيق:عبد السّلام هارون، اتحاد الكتاب العرب، 1423 هـ
6. ابن كثير. إسماعيل بن عمر القرشي (ت774هـ)، البداية والنهاية، مكتبة المعارف، بيروت
7. ابن كثير. عماد الدين أبو الفداء إسماعيل (ت774هـ)، تفسير القرآن العظيم، أشرف على تصحيحه علي شيري، دار إحياء التراث العربي، 1415هـ - 1995م
8. ابن مجاهد .أبو بكر أحمد بن موسى بن العباس التميمي البغدادي (245-324هـ)، كتاب السبعة في القراءات تحقيق د.شوقي ضيف، دار المعارف، القاهرة، 1400هـ، الطبعة الثانية
9. ابن منظور. محمد بن مكرم الأفرقي المصري (630-711هـ) ، لسان العرب ، بيروت ، دار صادر
10. أبو السعود. محمد العمادي(ت951هـ)، إرشاد العقل السليم إلى مزايا القرآن الكريم، بيروت، دار إحياء التراث العربي
11. أحمد بن حنبل أبو عبدالله الشيباني (164-241هـ) ، مسند الإمام أحمد بن حنبل ، مصر ، مؤسسة قرطبة
12. الأزهري. أبو منصور محمد بن أحمد ت 370هـ، تهذيب اللغة ، تحقيق: الشيخ عبد السلام هارون، الدار المصرية للتأليف والترجمة، 1384هـ 1964م.
13. الألوسي. محمود شهاب الدين محمود الألوسي البغدادي أبو الفضل(1270هـ) ، روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني ، بيروت ، دار إحياء التراث العربي
14. البُخَارِيُّ. محمد بن إسماعيل الجعفي (ت256هـ)، صحيح البخاري، تحقيق: د.مصطفى البغا، بيروت، دار ابن كثير واليامة، (ط3) ، 1407هـ
15. البيضاوي. عبد الله بن عمر المتوفى سنة 791هـ، أنوار التنزيل وأسرار التأويل ، شركة مصطفى البابي الحلبي وأولاده - بمصر، 1358هـ-1939م
16. البيهقي. أبو بكر أحمد بن الحسين (384-458هـ) ، شعب الإيمان ، تحقيق: محمد السعيد بسيوني زغلول، بيروت، دار الكتب العلمية، 1410هـ
17. التميمي. محمد بن حبان بن أحمد أبو حاتم البستي (354 هـ) ، صحيح ابن حبان بترتيب ابن بلبان، تحقيق: شعيب الأرنؤوط، بيروت، مؤسسة الرسالة،(ط2)، 1414هـ - 1993هـ
18. الجابري. نبيل نعمه، التسامح في الإسلام، مركز الإمام الشيرازي للدراسات والبحوث، 2008م
19. الجرجاني. علي بن محمد(740-816هـ)، التعريفات، تحقيق:إبراهيم الأبياري،بيروت، دار الكتاب العربي،1405هـ
20. الجزري. أبو السعادات المبارك بن محمد، النهاية في غريب الحديث والأثر، تحقيق: طاهر أحمد الزاوي ومحمود محمد الطناحي، بيروت، المكتبة العلمية، 1399هـ - 1979م
21. الجصاص. أحمد بن علي الرازي أبو بكر (305-370هـ) ، أحكام القرآن ، تحقيق: محمد الصادق قمحاوي ، بيروت ، دار إحياء التراث العربي ، 1405هـ

22. الجوهري. إسماعيل بن حمّاد ، الصحاح (تاج اللغة وصحاح العربية)، تحقيق: أحمد عبد الغفور عطار، بيروت، دار العلم للملايين، (ط2) 1399 هـ 1979 م.
23. جبرالد. ج. جامبولسكي، التسامح أعظم علاج علي الإطلاق، مكتبة مبارك العامة
24. الدمشقي. ابن ناصر الدين، سلوة الكئيب بوفاة الحبيب صلى الله عليه وسلم، تحقيق: صالح يوسف معتوق وهاشم صالح مناع، دار البحوث للدراسات الإسلامية، الإمارات
25. الذهبي. محمد بن أحمد بن عثمان أبو عبد الله (673-748 هـ)، سير أعلام النبلاء، تحقيق: شعيب الأرنؤوط، محمد نعيم العرقسوسي، بيروت، مؤسسة الرسالة، الطبعة التاسعة، 1413 هـ
26. الرازي. محمد بن أبي بكر بن عبد القادر (721 هـ)، مختار الصحاح، تحقيق: محمود خاطر، بيروت، مكتبة لبنان ناشرون ، 1415 هـ - 1995 م
27. الرازي. محمد بن عمر (606 هـ)، التفسير الكبير المسمى مفاتيح الغيب، بيروت ، دار الكتب العلمية، (ط1) 1421 هـ
28. الراغب الأصفهاني. أبو القاسم الحسين بن محمد 502 هـ، المفردات في غريب القرآن ، دار القلم، دمشق
29. الزبيدي. محمد مرتضى (ت1205 هـ)، تاج العروس من جواهر القاموس، طبعة الكويت
30. الزمخشري، جار الله محمود بن عمر (467-538 هـ)، الكشف عن حقائق التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل، تحقيق عبد الرزاق المهدي، بيروت، دار إحياء التراث
31. السعدي. أبو القاسم علي بن جعفر، كتاب الأفعال، بيروت، عالم الكتب ، ط1 ، 1983
32. السعدي. عبد الرحمن، تيسير الكريم الرحمن في تفسير الكريم، تحقيق: ابن عثيمين، مؤسسة الرسالة، بيروت، 2001 م
33. سفر. د. حسن بن محمد ، نظرات استشرافية في فقه العلاقات الإنسانية بين المسلمين وغير المسلمين، جامعة الملك عبد العزيز بجدة ، المكتبة الشاملة
34. السمرقندي. نصر بن أحمد بن محمد أبو الليث ، تفسير السمرقندي ، تحقيق: د. محمود مطرجي ، دار الفكر بيروت
35. السيوطي. عبد الرحمن بن الكمال جلال الدين (911 هـ) الدر المنثور ، بيروت ، دار الفكر ، 1993 م
36. الشيباني. أحمد بن حنبل أبو عبدالله (164-241 هـ) ، مسند الإمام أحمد بن حنبل ، مصر ، مؤسسة قرطبة
37. صاحب بن عباد، المحيط في اللغة ، المكتبة الشاملة
38. الصنعاني. عبد الرزاق بن همام (126-211 هـ)، تفسير الصنعاني، تحقيق : د. مصطفى مسلم محمد ، مكتبة الرشد ، الرياض، الطبعة الأولى ، 1410 هـ
39. الضياء المقدسي. محمد بن عبد الواحد (ت643 هـ)، الأحاديث المختارة مما ليس في الصحيحين أو أحدهما ، تحقيق: عبد الملك عبد الله، مكة المكرمة، مكتبة النهضة الحديثة، 1410 هـ (ط1).
40. الطبراني. سليمان بن أحمد (ت360 هـ)، المعجم الأوسط، تحقيق طارق بن عوض الله، دار الحرمين، القاهرة، 1415 هـ.
41. العجلوني. إسماعيل بن محمد الجراحي (1162 هـ) ، كشف الخفاء ومزيل الإلباس عما اشتهر من الأحاديث على ألسنة الناس، بيروت، دار الكتب العلمية
42. علاء الدين علي بن محمد بن إبراهيم البغدادي الشهير بالخازن تفسير الخازن المسمى لباب التأويل في معاني التنزيل دار الفكر - بيروت، لبنان 1399 هـ - 1979 م
43. الغزالي. محمد بن محمد (ت505 هـ)، إحياء علوم الدين، بذيله كتاب المغني لزين الدين أبي الفضل عبد الرحيم بن الحسين العراقي، بيروت ، دار المعرفة
44. الفراهيدي. الخليل بن أحمد، العين، تحقيق: د. مهدي المخمومي ود. إبراهيم السامرائي، بغداد، دار الرشيد، 1981 م.
45. الفيروز أبادي. مجد الدين محمد (ت817 هـ)، القاموس المحيط، بيروت، مؤسسة الرسالة (ط2)، 1407 هـ - 1987 م

46. القرطبي. محمد بن أحمد بن أبي بكر بن فرح أبو عبد الله (671هـ) ، الجامع لأحكام القرآن ، دار إحياء التراث العربي بيروت - لبنان 1405 هـ - 1985 م
47. القزويني. أبو عبد الله محمد بن يزيد، سنن ابن ماجه، تحقيق: بشار عواد معروف، دار الجيل، 1418هـ ، 1998م
48. القزويني. محمد بن يزيد بن ماجه (ت273هـ)، السنن، تحقيق: محمد فؤاد عبد الباقي، بيروت، دار الفكر.
49. القشيري. مسلم بن الحجاج أبو الحسين النيسابوري (206-261هـ) ، صحيح مسلم ، تحقيق: محمد فؤاد عبد الباقي، بيروت ، دار إحياء التراث العربي
50. القضاعي. محمد بن سلامة بن جعفر أبو عبد الله (ت454هـ)، مسند الشهاب، تحقيق: حمدي السلفي، بيروت، مؤسسة الرسالة، 1407هـ - 1986م، الطبعة الثانية
51. قطب. سيد إبراهيم، في ظلال القرآن ، دار الشروق ، القاهرة
52. الكلبي. محمد بن أحمد بن جزي (741هـ)، التسهيل لعلوم التنزيل، لبنان، دار الكتاب العربي(ط4)، 1983م
53. الطبري. محمد بن جرير أبو جعفر (224-310هـ)، جامع البيان عن تأويل آي القرآن، دار الفكر، بيروت، 1405هـ
54. المخزومي. أبو الحجاج مجاهد بن جبر (104هـ)، تفسير مجاهد، تحقيق الطاهر والسورتي، بيروت، المنشورات العلمية
55. مصطفى. إبراهيم وآخرون، المعجم الوسيط ، مطبعة مصر ، 1381هـ-1961م.
56. المناوي. عبد الرؤوف، فيض القدير، مصر، المكتبة التجارية الكبرى، 1356هـ
57. المناوي. محمد عبد الرؤوف (952-1031هـ) ، التوقيف على مهمات التعاريف، تحقيق: د. محمد رضوان، بيروت ، دمشق ، دار الفكر المعاصر ، دار الفكر ، 1410هـ
58. الموسوعة الحرة رابط الموقع "http://ar.wikipedia.org/wiki/%D8%AA%D8%B3%D8%A7%D9%85%D8%AD"
59. النسائي. أحمد بن شعيب أبو عبد الرحمن (215-303هـ) ، السنن الكبرى ، تحقيق: د. عبد الغفار سليمان البنداري وسيد كسروي حسن ، بيروت ، دار الكتب العلمية ، 1411هـ - 1991م
60. النسفي. أبو البركات عبد الله بن أحمد بن محمود، تفسير النسفي، دار إحياء الكتب العربية
61. النووي. أبو زكريا يحيى بن شرف الدين (631-676هـ) ، التبيين في آداب حملة القرآن ، دمشق ، الوكالة العامة للتوزيع ، 1403هـ - 1983م ، الطبعة الأولى
62. النيسابوري. محمد بن عبد الله الحاكم (321-405هـ)، المستدرك على الصحيحين، تحقيق: مصطفى عبد القادر عطا، بيروت، دار الكتب العلمية، 1411هـ - 1990م
63. الهمذاني. شيرويه بن شهردار بن شيرويه الديلمي 445-509هـ، الفردوس بمأثور الخطاب ، تحقيق: السعيد بن بيسوني زغلول، بيروت، دار الكتب العلمية، 1986م
64. الهيثمي، علي بن أبي بكر (807 - هـ)، مجمع الزوائد ومنبع الفوائد، القاهرة ، بيروت ، دار الريان للتراث، دار الكتاب العربي، 1407هـ
65. الواحدي. أبو الحسن علي بن أحمد (ت468هـ) ، الوجيز في تفسير الكتاب العزيز ، تحقيق: صفوان عدنان داوودي ، دمشق - بيروت ، دار القلم الدار الشامية ، 1415هـ
66. ياسين. أ.د. حكمت بن بشير، سماحة الإسلام في التعامل مع غير المسلمين، كلية القرآن الكريم والدراسات الإسلامية، الجامعة الإسلامية، المدينة المنورة
67. اليحصبي. القاضي عياض بن موسى ت 544 هـ ، مشارق الأنوار ، المكتبة العتيقة